طلب الدعاء من الأموات

دراسة عقدية

إعداد

د. محمد بن عبد الله الخضيري

عضو هيئة التدريس سابقًا في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن محمد الغنيمان

رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقًا
والمدرس بالحرم النبوي الشريف

أضواء المعرفة

طلب الدعاء من الأموات

طلب الدعاء من الأموات

دراسة عقدية

رقم الطبعة	الأولى
سنة الطبع	١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م
عدد الصفحات	١٣٦ صفحة
المقاس	١٧ × ٢٤

أضواء المعرفة
للتصميم والطباعة
وخدمات الكتب

طلب الدعاء من الأموات

دراسة عقدية

إعداد

د. محمد بن عبد الله الخضيري
عضو هيئة التدريس سابقًا في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم

أضواء المعرفة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

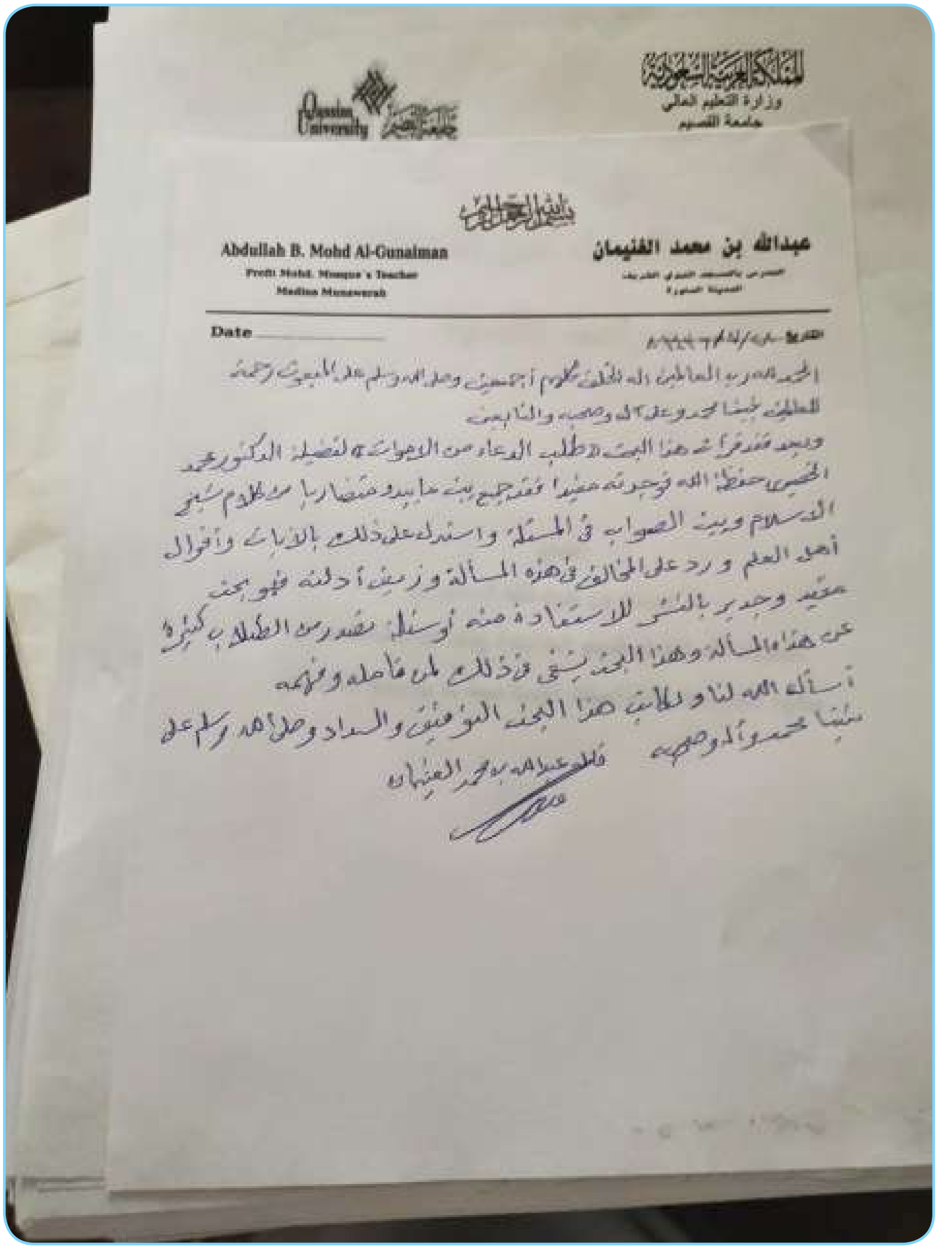
الحمد لله رب العالمين، إله الخلق كلهم أجمعين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فقد قرأت هذا البحث (طلب الدعاء من الأموات) لفضيلة الدكتور محمد الخضيري -حفظه الله- فوجدته مفيدًا، فقد جمع بين ما يبدو متضاربًا من كلام شيخ الإسلام، وبيّن الصواب في المسألة، واستدل على ذالك بالآيات وأقوال أهل العلم، وردَّ على المخالف في هذه المسألة وزيف أدلته، فهو بحث مفيد وجدير بالنشر؛ للاستفادة منه، وأسئلة تصدر من الطلاب كثيرة عن هذه المسألة، وهذا البحث يشفي في ذلك لمن تأمله وفهمه.

أسأل الله لنا ولكاتب هذا البحث التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قاله

عبدالله بن محمد الغنيمان



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم

Qassim University
جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله بن محمد الغنيمان

Abdullah B. Mohd Al-Gunaiman

التاريخ:

Date

الحمد لله رب العالمين إله الخلق أجمعين وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

وبعد فقد قرأت هذا البحث لطالب العلم من الإخوة فضيلة الدكتور محمد الحمين حفظه الله وجدته مفيدا فقد جمع بحث ما يؤيده منتصرا له من كلام شيخ الإسلام وبين الصواب في المسألة واستدل على ذلك بالآيات وأقوال أهل العلم ورد على المخالف في هذه المسألة وزيف أدلته فهو بحث مفيد وجدير بالنشر للاستفادة منه وقد سئلت [illegible] من الطلاب [illegible] عن هذه المسألة وهذا البحث يشفي في ذلك لمن تأمله وفهمه

أسأل الله لنا ولكاتب هذا البحث التوفيق والسداد وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

قاله عبدالله بن محمد الغنيمان

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فإن أسّ التوحيد وعموده هو إخلاص العبادة لله وحده، لاشريك له، وذروة العبادة ولبّها وأعظم ركن فيها: دعاء الله تعالى، والتوجه إليه وحده في الشدة والرخاء، في السراء والضراء، وصرفه أو جزء منه لغيره سبحانه قبيح شرعًا وفطرة وعقلًا، اتفقت الفطر السليمة، والعقول المستقيمة، والشرائع المنزلة، على منع ذلك وقبحه وتحريمه.

وتواترت وتضافرت نصوص الكتاب والسنة على التحذير من ذلك، والمبالغة في النهي عنه، والتشنيع على فاعله، وذم مرتكبه، وأجمع علماء الأمة على أن طلب الحوائج من غير الله تعالى -من: الأصنام، والأوثان، وأهل الأضرحة، والقبور- والاستغاثة بهم مضاد للتوحيد، ومناقض لأصله، حتى صار من ضروريات الإسلام التي لا يرتاب فيها من فهم خطاب الشارع. وهذا ليس خاصًّا بشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلامية، بل هو من الأصول الثابتة التي

اتفقت عليها الشرائع السماوية والكتب المنزلة؛ ذلك أن دين جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واحد، وإن تنوعت شرائعهم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢]، والملة هنا: بمعنى الدين. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «... **والْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[(١)]. فالأنبياء متفقون في الأصول الأساسية التي منها: إفراد الله تعالى بالعبادة، وإخلاص التوحيد له. وجاءت هذه الشريعة الخاتمة بالتأكيد على حق الله تعالى في توحيده، وإخلاص العبادة له، ونفي الشركاء والأنداد عنه تعالى، وتحريم عبادة غيره ودعائه، وسدّت كل طريق يؤدي إلى ما يناقض التوحيد، أو يقدح فيه، أو ينافي كماله، وحمت جناب التوحيد من كل ذلك؛ لأن تحقيق هذا الأصل به تتحقق الغاية والحكمة التي من أجلها خلق الثقلان، كما أخبر ربنا تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

ومن أعظم ما يناقض توحيد رب العالمين: دعاء غير الله تعالى؛ ولهذا جاء التحذير من دعاء غير الله في القرآن الكريم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٧).

تحذيرًا بالغًا، وأبدى فيه وأعاد، وتنوعت أساليب القرآن في ذلك، وتكررت في مناسبات وحالات متعددة؛ وذلك لخطورة دعاء غير الله تعالى، وكونه أعظم الظلم وأكبر معصية عصي الله بها، ولكونه أكثر وقوعًا من غيره من أنواع الكفر الأخرى، وأكثر انتشارًا في جميع أصناف الناس وطبقاتهم، وجميع الأزمان والأمكنة، بل إن أعظم مسألة خالف فيها الرسول ﷺ دين المشركين هي مسألة الدعاء بنوعيه: دعاء العبادة، والمسألة، وهي التي وقع فيها النزاع والخصومة بينه ﷺ وبينهم، فهم كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته، ويرون ذلك من تعظيم الصالحين، ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]. فجاء رسول الله ﷺ وخالفهم في ذلك، فأتى بإخلاص الدعاء وجميع أنواع العبادات لله. فهي إذًا أعظم مسألة خالف فيها الرسول ﷺ المشركين، وهي التي تفرق الناس لأجلها إلى: مسلم، وكافر، وعندها وقعت العداوة؛ ولأجلها شرع الجهاد[(١)].

(١) انظر: مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص٥٥).

ولكونها أعظم مسألة خولف فيها الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ عامة ونبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خاصة كثر اعتناء العلماء بمسألة دعاء غير الله؛ فأشبعوها تأصيلًا واستدلالًا، وأبدوا فيها وأعادوا، وجاهدوا أيّما جهاد في إبطال شبَه القبوريين، والخرافيين، وأصحاب الطرق الصوفية، وغيرهم.

بيد أن مسألة: (طلب الدعاء من الميت)، أي: أن يطلب الداعي من الميت عند قبره أن يدعو الله له، ويسأله فيتشفع به عند الله -وإن كان الكلام فيها متضمَنًا في مسائل الدعاء- لم أر من أفردها في بحث مستقل منشور مع كثرة الكلام حولها في بعض مجالس أهل العلم، وفي بعض المنتديات العلمية، وعلى الشبكة العنكبوتية، وكثرة الخوض فيها: هل هي شرك أكبر أو بدعة ووسيلة إلى الشرك؟ واختلاف النقل في هذه المسألة عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكذلك عدم حدوثها ووجودها في عصور الأئمة المتقدمين كما هي بصورتها المنتشرة، كما يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «ولم يكن في عهد السلف شيء من هذا؛ وإنما حدث أوائله ومباديه بعد القرون المفضلة، وأنكرها أهل العلم والإيمان، محافظة

منهم على السنة، وحماية لجناب التوحيد، وطاعة لله ورسوله، وسدًّا لذرائع الشرك ووسائله»[١].

فلهذه الأسباب وغيرها عقدت العزم -مستعينًا بالله وحده- على دراسة هذه المسألة، وتتبع فروعها، وذكر أدلتها وكلام العلماء حولها.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

د. محمد بن عبد الله الخضيري
القصيم - بريدة بتاريخ: 1436/4/16
بريد: mal6044@gmail. com

(١) الدرر السنية (١٧/ ٢٢٠).

خطة البحث

المبحث الأول: تحديد الفعل وتوصيفه.

المبحث الثاني: مناطات المسألة، وفيه مطالب:

المطلب الأول: زيارة القبور.

المطلب الثاني: سماع الأموات.

المطلب الثالث: مخاطبة الميت والطلب منه.

المطلب الرابع: الاستشفاع بالميت.

المبحث الثالث: العلماء القائلون بأنه بدعة ووسيلة إلى الشرك، وفيه مطالب:

المطلب الأول: كلام شيخ الإسلام وتنوع المنقول عنه.

المطلب الثاني: أقوال العلماء الآخرين.

المطلب الثالث: حجة أصحاب هذا القول.

المبحث الرابع: العلماء الذين صرحوا بأنه شرك بالله، وفيه مطالب:

المطلب الأول: حكاية أقوالهم.

المطلب الثاني: حجة أصحاب هذا القول.

المطلب الثالث: توجيه المنقول عن شيخ الإسلام والجمع بينها.

المطلب الرابع: الجواب عن استدلالات أصحاب القول الأول.

المطلب الخامس: إيرادات علمية على أصحاب القول الأول.

خاتمة البحث.

قائمة المراجع.

فهارس البحث.

المبحث الأول

تحديد الفعل وتوصيفه

من المهم التذكير -كما لا يخفى على القارئ- أن هذه المسألة تختلف عن طلب الدعاء لأمر مشروع أومباح من الحي الحاضر القادر، كفعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حينما كانوا يطلبون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو لهم، إما في أمر عام كما في حديث الاستسقاء حينما أجدبوا، فدخل رجل والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب، فقال: (يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه، ثم قال: **اللهم، أغثنا. اللهم، أغثنا. اللهم، أغثنا** ... الحديث) [متفق عليه][1].

أو في أمر خاص لأحد الصحابة، وهو كثير، كما في طلب أم سليم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو لابنها أنس، وكذا في طلب عكاشة بن محصن كما في قصة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وغيرهم، وكما وقع

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٩)، ومسلم (٥/ ٤٩١).

للصحابة في طلب بعضهم من بعض، كما طلب عمر من العباس أن يقوم فيستسقي للناس، وطلبه -أيضًا- من أويس القرني أن يدعو له، وهو أمر متفق على جوازه، ولم ينكره أحد من أهل القبلة، كما قرره عامة أهل العلم[1].

وتختلف -أيضًا- عن دعاء الميت ذاته والطلب منه مباشرة: أن يرزقه، أويغيثه، أويفرج كربته، أويرد غائبه، أو يشفي مريضه، فإن هذه المسألة لم يختلف في كونها شركًا أكبر مخرجًا من الملة علماءُ الأمة وأئمة الدين والسنة، فهي شرك بالله من جهة الألوهية؛ حيث دعا غير الله، وتألّه له، وسأله من دون الله، وإن اعتقد قدرة المدعو من دون الله على تلك الأفعال ودخولها تحت مقدوره فهو -أيضًا- شرك بالربوبية؛ حيث اعتقد شريكًا مع الله تعالى في أفعاله.

ومسألتنا هذه لها صورتان:

الصورة الأولى: وهي ما إذا سأل الميت أن يدعو الله له بعيدًا عن قبره، فهذه الصورة كثيرًا ما تقع ممن يدعون

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٥٣)، والفروع لابن مفلح (٤/ ٣١٩)، والدرر السنية (٢/ ١٦١، ١٦٢) و(١٣/ ١٩٦، ٢٥٢)، وتطهير الاعتقاد (ص١٥).

الأموات، فقد يقع أحدهم في شدة أو كرب؛ فينادي صاحبه الولي، ويستغيث به، ويشتكي إليه هذه الشدة، ويطلب منه الوساطة عند الله تعالى، فيقول: يا ولي الله فلان، ادعُ الله لي أن يزيل عني كذا وكذا، أو يعطيني كذا وكذا. وهم يظنون أنهم لم يشركوا حيث لم يدعوا الولي مباشرة قضاء الحوائج بنفسه، بل طلبوا منه سؤال الله فقط، وهذا مثل ما يطلب منه وهو حي أن يدعو لمن طلب منه، فلا فرق عندهم بين الحياة والموت.

والحكم في هذه الصورة أنها شرك بالله تعالى، ومناط ذلك كونه عبادة صرفت لغير الله تعالى، واعتقادهم أن صاحب القبر يعلم الغيب، ويسمع نداء من ناداه في كل زمان ومكان، ويشفع له في كل حين وآن، فهذا شرك صريح، فإن علم الغيب من الصفات المختصة بالله تعالى(١). يقول الشيخ محمد بن إسماعيل ابن عبد الغني الدهلوي الملقب بالشهيد (ت ١٢٤٧): «فإنهم أشركوا عن طريق النداء، فقد ظنوا أنهم يسمعون نداءهم عن بعد، كما يسمعون نداءهم عن قرب»(٢).

---

(١) انظر: صيانة الإنسان (ص١٨٢).

(٢) رسالة التوحيد (ص٧٢).

الصورة الثانية: أن يقوم الداعي بسؤال الميت عند قبره أو باب قبته أن يدعو الله له، فهو يزعم أنه لا يدعوه مباشرة، وإنما يطلب منه أن يدعو ربه؛ لتفريج كربته، أوشفاء مرضه، أو غير ذلك.

فالصورة الأولى: شرك بالله كما تقدم، إما من جهة الربوبية، وإما من جهة الربوبية والألوهية معًا.

أما الصورة الثانية: فلم يختلف علماء الإسلام -سوى من شذ من القبورية والصوفية وبعض الطوائف المنحرفة- في تحريمها وإنكارها واعتبارها لوثة قبورية طارئة على المسلمين، سرت فيهم بسبب: الجهل بالتوحيد، والوقوع في تعظيم الصالحين، والعكوف على قبورهم.

وإنما اختلفت أقوالهم في الحكم على هذا الفعل، هل هو بدعة أو وسيلة إلى الشرك بالله بحيث لا يصل إلى الشرك الأكبر بتكييفه السابق، أو هو شرك أكبر مخرج عن ملة الإسلام؟

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الكلام على هذه المسائل بأعيانها لم يكن مشهورًا في الصدر الأول، ولا عند

أئمة القرون المفضلة؛ وذلك لعدم انتشار هذا الفعل؛ ولبعد وقوع الشرك في عهد السلف الصالح زمن قوة الإسلام وسلطة العلم والشريعة، ولكن لما ضعفت الأمة، ودرست معالم التوحيد، وانتشر الجهل ببدهيات الإسـلام، سوّل الشيطان لبعض المسلمين دعاء الأولياء والاستغاثة بهم؛ فلهذا لم ينقل عن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ الكلام في هذه المسألة؛ لأنهم كانوا يكرهون الخوض في المسائل التي لم تقع، أوالتي من جنس المسائل الجدلية والافتراضية. وقد حدثت فتنة التعلق بالقبور من قبل الرافضة بعد القرون المفضلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الحجاج إلى القبور والمتخذون لها أوثانًا ومساجد وأعيادًا، هؤلاء لم يكن -على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم- منهم طائفة تعرف، ولا كان في الإسلام قبر، ولا مشهد يحج إليه، بل هذا إنما ظهر بعد القرون الثلاثة»(١). وقال الشيخ عبد اللطيف

(١) الرد على الأخنائي (ص٦٦)، وانظر: الرد على البكري (١/ ٤٤٨)، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٤٨).

ابن عبد الرحمن آل الشيخ: «وهذه الاعتقادات في الأموات إنما حدثت بعد موت الإمام أحمد، ومَن في طبقته من أهل الحديث والفقهاء والمفسرين»[(١)].

(١) القول الفصل النفيس في الرد على داوود بن جرجيس (ص١٥).

المبحث الثاني

مناطات المسألة

وفيه مطالب:

حين نتأمل هذه الصورة وهي قول الداعي أمام صاحب القبر: ياولي الله فلان ادع الله لي أو أسأل الله لي المغفرة والرحمة فإننا نجد فيها عددًا من الأعمال والاعتقادات هي مناطات للمسألة مختلفة الأحكام:

المطلب الأول: زيارة القبور:

زيارة الرجال للقبور من حيث الأصل مشروعة مستحبة، وهي الزيارة الشرعية التي يتحقق بها أمران: ١- تذكر الآخرة. ٢- نفع الميت والإحسان إليه، بالدعاء له، والسلام عليه. وهذان مقصدان شريفان نصّت عليهما الشريعة الإسلامية، ودلت عليهما السنة النبوية في أكثر من حديث، منها ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي -واللفظ له- من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة**

قبر أمه، فزوروها؛ فإنها تذكر الآخرة»[1] وهو في صحيح مسلم بلفظ: «**نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها**»[2]. ومنها ما ثبت من حديث بريدة أيضًا قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[3].

ومن زار قبرًا من القبور تعبدًا لله تعالى لغير هذين القصدين فقد خالف سنة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووقع في باب الابتداع في الدين، وقد يصل فعله إلى الشرك بالله حسب فعله وقصده. وعلى هذا فمن زار قبرًا خاصًا أو ضمن مقبرة وقصده: دعاء صاحب القبر، والطلب منه أن يدعو الله له، فقد رتع في حمى الشرك بالله تعالى، واتبع خطوات الشيطان.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ١١٣)، والترمذي في سننه بهذا اللفظ (٣/ ٣٦١)، وقال: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٠٨)، وعند أبي داود بلفظ: (نهيتُكُم عن زيارة القبورِ، فزُورُوها، فإنَّ في زِيارتها تَذكِرةً) (٥/ ١٣٨).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٦٧٢).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٦٧٠).

قال الإمام البركويّ الحنفيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «فإن زيارة القبور نوعان: زيارة شرعية، وزيارة بدعية. أمّا الزّيارة الشّرعيّة التي أَذِنَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها فالمقصود منها شيئان: أحدهما: راجع إلى الزّائر؛ وهو: الاعتبار والاتّعاظ، والثاني: راجع إلى الميّت؛ وهو: أن يُسَلِّم عليه الزّائر، ويدعو له ... وأمّا الزّيارة البدعيّة فزيارة القبور لأجل الصّلاة عندها، والطّواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ تُرابها، ودعاء أصحابها، والاستعانة بهم، وسؤالهم النّصر والرّزق والعافية والولد وقضاء الدّيون، وتفريج الكُربات، وإغاثة اللّهفات، وغير ذلك من الحاجات التي كان عُبَّاد الأوثان يسألونها من أوثانهم؛ فليس شيء من ذلك مشروعًا باتّفاق أئمّة المسلمين؛ إذ لم يفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أحد من الصّحابة والتّابعين وسائر أئمّة الدّين؛ بل أصل هذه الزّيارة البدعيّة الشّركيّة مأخوذة من عبّاد الأصنام؛ فإنّهم قالوا: الميّت المعظّم الذي لروحه قرب ومزية عند الله تعالى لا تزال تأتيه الألطاف من الله تعالى، وتفيض على روحه الخيرات؛ فإذا علّق الزّائر روحه به وأدناه منه؛ فاض من روح المزور على روح

الزّائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشّعاع من المرآة الصّافية والماء الصّافي ونحوهما على الجسم المقابل له! ثم قالوا: فتمام الزّيارة أن يتوجّه الزّائر بروحه إلى الميّت، ويعكف بهمّته عليه، ويوجه قصده وإقباله إليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره»[1]. وقلّ من يعتاد الذهاب إلى القبور على وجه غير شرعي إلا ألمّ بقلبه وروحه هذه المعاني والاعتبارات حتى وإن قال: أنا أطلب منه أن يدعو الله لي، فإن كثيرًا من هؤلاء لم يرفعوا رأسًا بهؤلاء حال حياتهم، ولا من هو أفضل منهم بطلب الدعاء منهم فيما يقدرون عليه حال حياتهم! فما بالهم حين ماتوا وقبروا توجهوا إليهم زاعمين أنهم يطلبون منهم الدعاء!

وقرائن الحال، وحنين القلوب، وتأوهات الصدور، والتعلق، والإلحاح، كلها ناطقة بغير ذلك.

المطلب الثاني: سماع الأموات:

الذي يطلب من صاحب القبر أن يدعو له فإنه يعتقد أن الميت يسمع نداءه، ومسألة سماع الأموات من المسائل التي

(١) زيارة القبور للبركوي (ص٢٠).

جرى فيها خلاف قديم بين أهل العلم، ولكل أدلّته وبراهينه، فمنهم من أثبت سماع الأموات من الأحياء، وهو قول الجمهور كما نسبه لهم ابن جرير وابن رجب والعيني[(١)]، ومنهم من نفاه وأنكره كقتادة، وقال به: البيهقي والمازري وابن عطية وابن الجوزي وابن قدامة[(٢)]، ومنهم من أثبت السماع في الحالات المخصوصة الواردة في النصوص فقط، وهذا هو الأقرب والأسعد بالدليل، وقال به: القرطبي والآلوسي والشوكاني والألباني[(٣)]؛ لأن إنكاره مطلقًا أوإثباته مطلقًا لا يستقيم مع الأدلة الواردة في النفي والإثبات، وعلى كل حال فهي من

(١) انظر: تهذيب الآثار للطبري ابن جرير الطبري (٢/ ٤٩١)، وأهوال القبور لابن رجب (ص١٣٣)، وعمدة القاري للعيني (٨/ ٢٠٢).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٢٤) والمعلم بفوائد مسلم للمازري (ص٢١١). وكشف المشكل لابن الجوزي (١/ ١٤٨)، والمغني لابن قدامة (٧/ ٣٥٢)، (١٠/ ٦٣).

(٣) انظر: التذكرة للقرطبي (ص١٥٢)، وفتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢١٦)، روح المعاني للآلوسي (٢١/ ٧٩)، ومقدمة الألباني لكتاب الآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص٧٧).

المسائل التي لا يضلّل فيها المخالف فضلًا أن يكفر. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن السلف أخطأ كثير منهم في كثير من هذه المسائل، واتفقوا على عدم التكفير بذلك، مثلما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي»[(١)].

ومن المعلوم قطعًا أنه لا أحد من العلماء والأئمة المثبتين أو النافين جعل هذه المسألة مسوغًا لنداء الأموات والطلب فضلًا عن دعائهم بذواتهم والاستغاثة بهم، ومن يقول بسماع الأموات لا يقول بأنهم يسمعون كل كلام، ومن أيّ محل كان قريبًا أو بعيدًا فإن هذا باطل بإجماع المسلمين[(٢)]. «سواء قُدّر أن الميت يسمع الخطاب كما إذا خوطب من قريب، أو قُدّر أنه لا يسمعه كما إذا خوطب من بعيد، فإن مجرد سماع الميت للخطاب لا يستلزم أنه قادر على ما يطلب الحي منه، وكونه قادرًا عليه لا يستلزم أنه شرع لنا أن نسأله ونطلب منه كل ما يقدر عليه، فليس لنا في حياة الرسل أن نسألهم كل ما يمكنهم فعله، بل ولا نسأل الله تعالى كل ما يمكنه فعله، بل الدعاء

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٩٢).

(٢) انظر: دعاوى المناوئين (١/ ٣٣٣).

عبادة شرعية، فكيف يجوز أن نسألهم ذلك بعد مماتهم؟! وليس لنا أن نسألهم كل ما يقدر الله عليه من المفعولات ليسألوا ربهم إياه، كما سأل قوم موسى أن يريهم الله جهرة! وسألوا المسيح إنزال المائدة! وسألوا صالحًا الناقة! وسألوا الأنبياء الآيات!»[(١)].

المطلب الثالث: مخاطبة الميت والطلب منه:

الذي يطلب من الميت أن يدعو له فإنه لا بدّ أن يخاطب الميت، ومخاطبة الميت بضمير المخاطب منه ما هو مشروع كما في حال الزيارة، وتقدم في الصحيح من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[(٢)]، فهذه الضمائر الثلاثة في الحديث كلها للمخاطب، وهي مخاطبة مخصوصة ليست من جنس ما يقع بين الناس من المخاطبات والكلام.

(١) الرد على البكري (ص٩٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٢).

أما مخاطبة الميت في قبره، والكلام معه، ونقل الأخبار والأحـوال إليه، فهي مخاطبة محدثة، وبالتالي فهي بدعة مذمومة، ومناجاة ممنوعة، لم تكن في عهد الأصحاب الكرام، ولا التابعين لهم بإحسان. أما الشكوى إليه، والطلب منه، والاستغاثة به، فهو المنكر الأعظم؛ لأنه شرك بالله تعالى؛ لأنه دعاء للميت، وتعلق به، وطلب لتفريج كربة، أو رفع شدة، أوكشف غمة، وأشد منه إذا كان ذلك من مسافة بعيدة، كمن ينظم الأشعار في مخاطبة الأموات من الأولياء أو من القادة والشجعان، واستنصارهم واستنهاض هممهم لما أصاب الناس من كربة، أو شدة، أو تسلط ظالم، أو اعتداء عدو غاشم، فإن ذلك استغاثة به من جهة، ومن جهة أخرى اعتقاد أنه يسمع من بعيد، ويعلم الغيب، وذلك مما اختص به الرب جل في علاه.

والواحد من هؤلاء المتعلقين بالقبور تجده يرفع صوته بالشكوى قائلًا: «أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جور الولاة وجدب الزمان، وغير ذلك، فيشكو إليه ما حصل من ضرر في الدين والدنيا. ومقصوده

في الشكوى: أن يشكيه، فيزيل ذلك الضرر، وقد يقول مع ذلك: أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب، فيجعل الميت والحي والغائب، عالمًا بذنوب العباد ومجرياتهم التي يمتنع أن يعلمها بشر حي أو ميت. وعقلاؤهم يقولون: مقصودنا: أن يسأل الله لنا، ويشفع لنا، ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أنه يسأل الله لهم، فإنه يسأل ويشفع، كما كان يسأل ويشفع لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره، وكما يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة.

ولا يعلمون أن سؤال الميت والغائب، غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه، إلى سؤال غيره، وطلب الدعاء منه؛ وأن الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم، لا يطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يطلب منه في حياته»[(١)].

---

(١) الدرر السنية (١/ ٢٩٧) نقلًا عن شيخ الإسلام، ولم أجده في شيء من كتبه فيما وقفت عليه، والظاهر أنه في الجزء غير المطبوع من الرد على البكري.

يقول شيخ الإسلام: «فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئًا: لا يطلب منه أن يدعو الله له ولا غير ذلك، ولا يجوز أن يشكى إليه شيء من مصائب الدنيا والدين، ولو جاز أن يشكى إليه ذلك فى حياته، فإن ذلك فى حياته لا يفضى إلى الشرك، وهذا يفضى إلى الشرك؛ لأنه فى حياته مكلف أن يجيب سؤال من سأله لما له فى ذلك من الأجر والثواب، وبعد الموت ليس مكلفًا، بل ما يفعله من ذكر لله تعالى ودعاء، ونحو ذلك، كما أن موسى يصلي فى قبره، وكما صلى الأنبياء خلف النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج ببيت المقدس، وتسبيح أهل الجنة والملائكة فهم يتمتعون بذلك، وهم يفعلون ذلك بحسب ما يسّره الله لهم، ويقدره لهم، ليس هو من باب التكليف الذى يمتحن به العباد»[(١)].

وهل هناك فرق بين دعاء الميت مباشرة وطلب الغوث منه، وبين أن يطلب منه أن يدعو الله له؟ هناك من أهل العلم من فرق بينهما كما سيأتي، فجعل الأول شركًا أكبر، وجعل الثاني بدعة ووسيلة إلى الشرك.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى (١/ ١٦١).

المطلب الرابع: الاستشفاع بالميت:

الشفاعة لغة: مصدر مشتق من الفعل الشفع الذي هو ضد الوتر، يقال: شفع لي شفاعة، وتشفع: طلب، واستشفعه: طلب منه الشفاعة، أي: قال له: كن لي شفيعًا، فالشفاعة على هذا بمعنى الطلب للغير. وجاء عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] قالا: «الشفاعة: الدعاء هنا»(١).

وأصل هذه المادة تدور على الدلالة على مقارنة الشيئين، من ذلك الشفع خلاف الوتر، والشفعة في الدار؛ لأنه يشفع بها ماله، والشاة الشافع التي معها ولدها، وشفع فلان لفلان إذا جاء ثانية ملتمسًا مطلبه، ومعينًا له(٢).

وحقيقة الشفاعة من الله هي: رحمته جَلَّ وَعَلَا للمشفوع له، وإظهار كرامة الشافع فقط(٣)، وهي من الشافع: طلب الخير للغير. قال ابن الأثير: «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/ ١٣٥)، ولسان العرب (٨/ ١٨٣).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٠١).

(٣) انظر: شرح فتح المجيد للشيخ عبدالله الغنيمان (٣/ ٥٧).

والجرائم»[1]، وتكون أيضًا للإثابة بدليل شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفع درجات بعض أهل الجنة.

إذًا الشفاعة نوع من الدعاء والطلب كما سبق تفسير المبرد وثعلب للشفاعة بالدعاء في آية الكرسي، وبالتالي فهي دعاء مخصوص بطلب التجاوز عن الجرائم، فالنسبة بينها وبين الدعاء العموم والخصوص المطلق، فكل شفاعة دعاء وليس كل دعاء شفاعة؛ لأنها خاصة بطلب التجاوز عن الجرائم والدعاء عام[2]. ومن الفروق بينهما أن الشفاعة لا تكون إلا بين اثنين أوأكثر يكون أحدهما شفيعًا للآخر بخلاف الدعاء الذي يكون من الداعي لنفسه أو لغيره.

وعند التأمل نجد أن طلب الدعاء من الميت هو نوع استشفاع به، وطلب للشفاعة منه.

واتخاذ الوسائط من الأنداد والآلهة ليكونوا شفعاء عند الله هو عين ما فعله المشركون؛ إذ من المقطوع به أن مشركي قريش لم يعبدوا أصنامهم إلا بحجة وساطتها لهم عند الله،

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤٨٥).

(٢) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة (١/ ٩٦).

وكونهم شفعاء لهم بين يديه، ولم تنفعهم تلك الحجة؛ إذ حكم الله عليهم في كتابه بأنهم مشركون، فقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨] فوصفهم بالشرك به.

ويقول تعالى في وصف المشركين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

وقد حكى غير واحد من علماء الإسلام الإجماع على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة فقد كفر بالله تعالى، يقول صاحب تيسير العزيز الحميد: «نقله غير واحد مقررين له، منهم: ابن مفلح في الفروع، وصاحب الإنصاف، وصاحب الغاية، وصاحب الإقناع، وشارحه، وغيرهم. ونقله صاحب القواطع في كتابه عن صاحب

الفروع»[1]، ولم يخالف في ذلك إلا أصحاب الغلو في الأنبياء والأولياء والصالحين الذين زعموا أن دعاءهم سبب مباح بل مطلوب للحصول على خيري الدنيا والآخرة[2].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يجعل واسطة بينه وبين عباده في رفع الحوائج ودفع المضار، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦]. ومن لطائف هذه الآية الكريمة أن الله لم يقل: فقل إني قريب ... كما هو العادة في أساليب القرآن في الجواب عن الأسئلة الموجهة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسر في ذلك: الإشارة إلى عدم الوساطة في الدعاء، حيث لم يجعل الله الوساطة في الجواب على السؤال، فكيف بالوساطة في الدعاء نفسه[3]!

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص١٩٤)، وانظر: الإنصاف للمرداوي (١٠/ ٢٤٦)، والفروع لابن مفلح (١٠/ ١٨٨)، وكشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(٢) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة (٢/ ٦٧٨) ومابعدها.

(٣) انظر: تفسير الرازي (١/ ٧٩٩).

«وهذا مما يعلم فساده بالضرورة من دين الإسلام، فإنه لا يوجد في الإسلام وساطة بين الله وبين خلقه في الخلق والتدبير، والرزقِ والإحياء والإماتة، وسماع الدعاء وإجابة الداعي، بل الرسل كلهم وأتباع الرسل متفقون على أنه لا يعبد إلا الله وحده، فهو الذي يسأل ويعبد، وله يصلى ويسجد، وهو الذي يجيب دعاء المضطرين، ويكشف الضر عن المضرورين، ويغيث عباده المستغيثين، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾»(١) [فاطر: ٢].

وإذا تقرر أن دعاء الأولياء من دون الله واتخاذهم وسائط وشفعاء بينهم وبين الله، يعتبر من أمور الشرك الصريحة المنصوص عليها في الوحيين المطهرين، فما الفرق بين طلب الدعاء من الميت وبين سؤاله الشفاعة؟ فإن طلب الشفاعة هو دعاء في الحقيقة كما تقدم، والدعاء حق خالص لله رب العالمين، لا يجوز صرفه لغير الله أبدًا، يقول شيخ الإسلام: «والاستشفاع به: طلب شفاعته، والشفاعة دعاء»(٢).

(١) انظر: الرد على المنطقيين (ص٥٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨).

وغالب من يطلب الدعاء من الميت -عند التحقيق- قد قام بقلبه من تعظيم هذا المدعو، واعتقاد قدرته على سؤال الله، ونيل الحوائج منه، وإيقاعها في الوقت المطلوب، ما حمله على أن يخصه بالدعاء، ويطلب منه سؤال الله. وهذا ما جعل أحد من عايش هؤلاء وشهد أحوالهم ودعاءهم عند المقابر يصرح بمرادهم الحقيقي، وهو الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ يقول: «من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل، وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين، وزاد على مجرِّد الاعتقاد فتقرّب إلى الأموات بالذبائح والنذور، وناداهم مستغيثًا بهم عند الحاجة، فهذا كاذب في دعواه أَنَّهُ متوسل فقط، فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك، إذ المتوسَّلُ به لا يحتاج إلى رشوة بنذر، أو ذبح، ولا تعظيم، ولا اعتقاد، لأن المدعو هو الله، وهو أيضًا المجيب، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قطُّ، بل هو بمنزلة العمل الصَّالح، فأيُّ جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثَّرى بشيء من ذلك، وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير اشتراكًا أو استقلالًا، ولا شهادة أعدل من جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدَّعاوى الباطلة العاطلة، بل من زعم

أنه لم يحصل منه إلاَّ مجرَّد التوسل وهو يقول بلسانه: يا فلان.. مناديًا لمن يعتقده من الأموات، فهو كاذب على نفسه.

ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالًا، فليخبرنا ما معنى ما يسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم: يا ابن عجلان، يا زيلعي، يا ابن علوان، يا فلان...)[1].

(١) الدر النضيد للشوكاني (ص٧٣، ٧٢).

المبحث الثالث

العلماء القائلون بأنه بدعة ووسيلة إلى الشرك

وفيه مطالب:

المطلب الأول: كلام شيخ الإسلام في المسألة وتنوع المنقول عنه:

هل هناك فرق بين دعاء الميت مباشرة وطلب الغوث منه وبين أن يطلب منه أن يدعو الله له؟ هناك من أهل العلم من فرق بينهما، فجعل الأول شركًا أكبر، وجعل الثاني بدعة ووسيلة إلى الشرك.

وقد سبق أن هذه المسألة بصورتها الحالية لم تكن من الوقائع المنتشرة في عهد السلف، ولا في عهد الأئمة المتقدمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ فلهذا كان أقدم من وقفت له على كلام فيها هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد اختلف النقل فيها عنه، فتارة يصرح بأنه شرك، وتارة يعتبره بدعة ووسيلة إلى الشرك، وأحيانا يقتصر على تحريم الفعل دون بيان مرتبة الحكم، وسأذكر هنا المواضع التي لم يجزم بكونها شركًا وسأرجئ كلامه المصرح بأنه شرك أكبر في المبحث الرابع.

(أ) التصريح بأن هذا الطلب غير جائز، وأنه بدعة:

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراتب فى هذا الباب ثلاث: إحداها: أن يدعو غير الله وهو ميت أو غائب، سواء كان من الأنبياء والصالحين أو غيرهم، فيقول: يا سيدي فلان، أغثنى، أو أنا أستجير بك، أو أستغيث بك، أو انصرني على عدوي، ونحو ذلك، فهذا هو الشرك بالله ... الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين: ادع الله لي، أو ادع لنا ربك، أو اسأل الله لنا، كما تقول النصارى لمريم وغيرها، فهذا -أيضًا لا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التى لم يفعلها أحد من سلف الأمة؛ وإن كان السلام على أهل القبور جائزًا، ومخاطبتهم جائزة، كما كان النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يغفر الله لنا ولكم، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم، واغفر لنا ولهم**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم وتقدم تخريجه (ص٢٢).

وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام...**»

الثالثة: أن يقال: أسألك بفلان، أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك، الذى تقدم عن أبى حنيفة وأبي يوسف وغيرهما أنه منهي عنه[(١)]، وتقدم -أيضًا- أن هذا ليس بمشهور عن الصحابة، بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره...»[(٢)].

ويقول في موضع آخر قريب من هذا النقل أسوقه مختصرًا:

«وأما من يأتى إلى قبر نبي أو صالح، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك، ويسأله ويستنجده، فهذا على ثلاث درجات:

إحداها: أن يسأله حاجته، مثل: أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضى دينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه

(١) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ١١٢١).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٦).

وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل.

وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني؛ ليشفع لي في هذه الأمور؛ لأني أتوسل إلى الله به كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه، فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٣، ٤٤]»(١).

إلى أن يقول: «وإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته، **فهذا هو القسم الثاني وهو:** ألا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك، كما تقول للحي: ادع لي، وكما كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يطلبون من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الدعاء، فهذا مشروع في الحي

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٧٢).

كما تقدم، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا اسأل لنا ربك، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث ... بل هو بدعة، ما أنزل اللهّ بها من سلطان، بل كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يسلمون عليه، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا اللهّ مستقبلي القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة، ويدعون اللهّ وحده لا شريك له، كما يدعونه في سائر البقاع»[(١)].

ثم ذكر القسم الثالث: «وأما القسم الثالث: وهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك، افعل بي كذا وكذا، فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء»[(٢)].

(ب) وصف الفعل بأنه ذريعة إلى الشرك:

وتارة يصف هذا الفعل بأنه ذريعة إلى الشرك بالله، وفي

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٧٥).

(٢) المرجع السابق (٢٧/ ٨٣).

ذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء، مع إخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون، ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم. وكذلك الأنبياء والصالحون، وإن كانوا أحياء في قبورهم، وإن قدر أنهم يدعون للأحياء، وإن وردت به آثار، فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك، ولم يفعل ذلك أحد من السلف؛ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم، وعبادتهم من دون الله تعالى، بخلاف الطلب من أحدهم فى حياته، فإنه لا يفضى إلى الشرك؛ ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالأمر الكوني، فلا يؤثر فيه سؤال السائلين، بخلاف سؤال أحدهم فى حياته فإنه يشرع إجابة السائل، وبعد الموت انقطع التكليف عنهم»[(١)].

ويقول في موضع آخر: «وإذا لم يشرع دعاء الملائكة لم يشرع دعاء من مات من الأنبياء والصالحين، ولا أن نطلب منهم الدعاء والشفاعة وإن كانوا يدعون ويشفعون، لوجهين:

أحدهما: أن ما أمرهم الله به من ذلك هم يفعلونه وإن لم يطلب منهم، وما لم يؤمروا به لا يفعلونه ولو طلب منهم، فلا فائدة فى الطلب منهم.

(١) قاعدة جليلة ضمن مجموع الفتاوى (١/ ٣٣١، ٣٣٠).

الثانى: أن دعاءهم وطلب الشفاعة منهم فى هذه الحال يفضي إلى الشرك بهم، ففيه هذه المفسدة. فلو قدِّر أن فيه مصلحة لكانت هذه المفسدة راجحة، فكيف ولا مصلحة فيه! بخلاف الطلب منهم فى حياتهم وحضورهم فإنه لا مفسدة»[(١)].

(جـ) التصريح بعدم جوازه ومشروعيته:

وفي بعض المواضع يكتفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوصف الفعل بأنه غير جائز وغير مشروع، وفي ذلك يقول: «ولا يشرع لأحد أن يقول لميت: سل الله تعالى لي، أو ادع لي، ولا يشرع لهم أن يشكو إلى ميت فيقول أحدهم مشتكيًا إليه: علي دين، أو آذاني فلان، أو قد نزل بنا العدو، أو أنا مريض، أو أنا خائف، ونحو ذلك من الشكاوى، سواء كان هذا السائل عند قبر الميت أو كان بعيدًا منه، وسواء كان الميت نبيًّا أو غيره ...»[(٢)].

ويقول في موضع آخر: «فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئًا، لا يطلب منه أن يدعو الله له، ولا غير ذلك، ولا يجوز أن يشكي إليه شيء من مصائب الدنيا والدين ...»[(٣)].

(١) قاعدة جليلة ضمن المجموع (١/ ١٨٠).
(٢) الرد على البكري (٢/ ٥٠٤).
(٣) قاعدة جليلة ضمن المجموع (١/ ٣٥٤).

هذه أبرز مقالات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي يستدل بها من لا يرى أن هذا الفعل شرك بالله تعالى، وله أقوال أخرى كما تقدم في وصف الفعل بأنه شرك أكبر، وسيأتي ذكرها إن شاء الله مع الجمع بينها وبين هذه النقولات في المبحث الرابع.

ومن هنا سار على هذا المسلك جمع من العلماء في تقريرهم لحكم هذه المسألة بكونه من البدع المحدثة ووسائل الشرك بالله تعالى.

المطلب الثاني: أقوال العلماء الآخرين:

ومن هؤلاء العلماء:

١ - العلامة الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يقول: «وتحقيق الكلام فى هذا المقام أن الاستغاثة بمخلوق، وجعله وسيلة -بمعنى: طلب الدعاء منه- لا شك فى جوازه إن كان المطلوب منه حيًّا، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب، بل قد يطلب الفاضل من المفضول، فقد صح أنه -صلى الله عليه و سلم- قال لعمر -رضي الله تعالى عنه- لما استأذنه فى العمرة: لا تنسنا يا أخي من دعائك، وأمره أيضًا أن يطلب من أويس القرني -رحمة الله تعالى عليه- أن يستغفر له، وأمره أمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بطلب الوسيلة له كما مر آنفًا، وبأن يصلوا عليه، وأما إذا كان المطلوب منه ميتًا أو غائبًا فلا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التى لم يفعلها أحد من السلف»[(١)].

٢- ومنهم: الشيخ بشير السهسواني صاحب صيانة الإنسان، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديثه عن الشفاعة: «وأما طلبها من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الوفاة قبل يوم القيامة عند القبر أو بعيدًا من القبر فبدعة، وأي ملجئ لنا إلى إحداث هذه البدعة؟»[(٢)].

٣- ومنهم: الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يقول: «سؤال حي لميت بحضرة قبره بأن يدعو الله له، مثل قول عبّاد القبور مخاطبين لها: يا فلان، ادع الله لي بكذا أوكذا، أو أسألك أن تدعو الله لي بكذا وكذا، فهذه لا يختلف المسلمون بأنها وساطة بدعية، ووسيلة مفضية إلى

(١) روح المعاني (٦/ ١٢٥)، والحديث أخرجه أبوداود في سننه (١/ ٥٥٥)، وأحمد في المسند (٢/ ٥٩)، والترمذي (٢/ ٢٧٤)، وقال: «حسن صحيح»، وضعفه الألباني في تخريج المشكاة (٢/ ٦).

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص٣٥٢).

الـشرك بالله، ودعاء الأموات مـن دون الله، وصرف القلوب عن الله تعالى»[١].

٤- ومنهم: فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك -حفظه الله تعالى- حين سئل في موقع الإسـلام اليوم بتاريخ ١٤/ ٢/ ١٤٢٦ السؤال الآتي:

يرجى بيان مدى جواز سؤال المسلم للرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الشفاعة، كأن يقول: (اشفع لي يا رسول الله عند الله)، وذلك حين استشعاره بأن الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعرض عليه أعمال الأمة من قول أو فعل، مع إيمانه بأن الشفاعة تكون بإذن الله.

الجواب:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هو سيد الشفعاء، وهو أول شافع، وأول مشفع يوم القيامة، وكان عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسأله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ الدعاء، كما قال عكاشة بن محصن في حديث السبعين

(١) تصحيح الدعاء د. بكر بن عبدالله أبوزيد (ص٢٥٠).

ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: (ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **أنت منهم**)[1].

كما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا أجدبوا سألوه أن يستسقي لهم، كما قال أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اللهم، إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا؛ فيسقون)[2]. هذا في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فتبين من هذا الأثر الصحيح أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتوسلون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني: يسألونه أن يدعو الله لهم في حياته، ولما مات عدلوا عن ذلك، ولم يأت أحد منهم يسأله الدعاء، بل عدلوا إلى التوسل بدعاء العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وعلم بذلك أن سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته الشفاعة في أمر خاص أو عام غير مشروع، بل هو بدعة في الدين، وهو حرام؛ لأنه وسيلة قريبة إلى الشرك، وليس في الكتاب، ولا في السنة، ما يدل على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو لأحد وهو في قبره. لكن يوم القيامة يأتي إليه الناس ويسألونه أن يشفع لهم بعد أن يمروا على: آدم،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠١٠).

ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، فيعتذرون عن التقدم إلى الله بالشفاعة، فيقوم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيقول: «**أنا لها، فيأتي ربه، فإذا رآه خرَّ ساجدًا، فيفتح الله عليه بمحامد، ثم يقال له: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع**»[١]. ويشفع في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله به في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩].

ومن يأتِ إلى قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أو إلى قبر غيره من الصالحين يسأله الشفاعة في شيء من أمر الدنيا أو الآخرة، فهو مبتدع ضال، أو مشرك، وهو متبع غير سبيل المؤمنين. فسبيل المؤمنين هو ما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، وكل ما خالف ما كانوا عليه في أمر الدين فهو بدعة وضلال. نسأل الله أن يبصرنا، وأن يعصمنا من الضلالة بمنه وكرمه، والله أعلم»[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٣٥)، ومسلم (١/ ١٨٠).

(٢) موقع الإسلام اليوم على الرابط:

http: //www. islamtoday. net/fatawa/quesshow-60-57153. htm.

وسئل أيضًا في ملتقى أهل الحديث السؤال الآتي:

فضيلة الشيخ: نقل عنكم - حفظكم الله في هذا المنتدى - أنكم تفرقون بين الذي يطلب من الميت قُرْبَ قبره الدعاء له، وبين الذي يطلب منه الشفاعة، فما الفرق الجوهري المؤثر بينهما، علمًا أن طلب الشفاعة نوع من طلب الدعاء؟

الجـواب: (الحمد لله، من أنـواع الشرك الأكبر شرك الدعاء، وهو: دعاء الأموات والغائبين في قضاء الحوائج، والاستغاثة بهم في الشدائد، وطلب النصر والرزق منهم، سواء طلب ذلك من الميت من قرب، أو بعد؛ إذا كان الداعي والطالب يعتقد أنه يفعل ذلك بقدرته، وحينئذ يكون قد جمع بين الشرك في الربوبية، والشرك في العبادة.

وأما إذا كان الداعي للميت يطلب منه أن يدعو الله له، وهو قريب من قبره لاعتقاده أنه يسمع؛ فذلك بدعة، ووسيلة إلى الشرك كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كلامه، ومعلوم أن الدعاء للغير شفاعة له، فطالب الدعاء هو طالب للشفاعة، فلهذا يقال له: استشفاع وتوسل، كما قال أمير المؤمنين عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (اللهم، إنا كنا نتوسل إليك بنبينا؛

فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)[(١)]. وما ذاك إلا طلب الدعاء من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم من العباس، وذلك في حياتهما، ولم يذهب عمر ولا غيره إلى قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطلب الدعاء منه، مما يدل على أنه غير مشروع، ولا هو سبب لحصول مطلوب، وإذا كان هذا في حق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغيره من باب أولى. وأما إذا اقترن بطلب الدعاء من الميت والاستشفاع به، تقرب إليه بنوع من أنواع العبادة، فذلك عين ما كان يفعله المشركون، يعبدون ما يعبدون زاعمين أنهم يشفعون لهم، وأنهم يقربونهم إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، فكانوا كفارًا ومشركين؛

---

(١) أخرجه البخاري وتقدم تخريجه (ص٤٨).

حيث جعلوا بينهم وبين الله وسائط في العبادة. وأما من يطلب من الغائب عنه، أو من الميت، وهو بعيد من قبره، فيدعوه في كل مكان، ويستغيث به، فهو مشرك؛ لأنه قد شبهه بالله الذي يسمع دعاء الداعين، ويغيث الملهوفين. وبهذا يتبين أنه لا فرق في الحقيقة بين طلب الدعاء وطلب الشفاعة من حي أو ميت، ولا أذكر أني فرقت بينهما، فلعل الذي نقل ذلك عني قد وهم، أو أني تطرقت لمعنى آخر، ولم يفهم مرادي، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد)[(١)].

٥- ومنهم الشيخ جيلان بن خضر عروسي صاحب كتاب (الدعاء ومنزلته من العقيدة) حين عدد مراتب الدعاء، وجعل هذه المسألة هي المرتبة الرابعة، فقال: «أن يسأل ميتًا -عند قبرِه، وباب قبته، ومشهده- أن يدعو الله له، كالذي يفعله زوار القباب، والأضرحة، والمشاهد، يقول أحدهم: يأيها الولي الفلاني، ادع الله لي أن يفعل بي كذا وكذا ... فهذه الصورة حكمها أنها من البدع المنكرة الشنيعة، وأنها من وسائل الشرك، وأنها الباب الموصل إلى دعاء الميت نفسه فيما بعد»[(٢)].

(١) ملتقى أهل الحديث:
http: //www. ahlalhdeeth. com/vb/showthread. php?t=20518.
(٢) الدعاء ومنزلته من العقيدة (٢/ ٤٩٤).

هؤلاء أبرز العلماء الذين وقفت على رأيهم في المسألة من أنها بدعة، أو وسيلة إلى الشرك بالله تعالى.

وقد تجد بعض أهل العلم ربما يصف حالات هي من الشرك الأكبر، ويصفها بأنها محرمة ومذمومة -كما سيأتي في توجيه كلام شيخ الإسلام- ولا يعني أنه ينفي عنها حكم الشرك، بل هذه لغة القرآن، فقد وصف الله تعالى الشرك بالتحريم، وعدّه من جملة المحرمات، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ الآية [الأنعام:١٥١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

المطلب الثالث: حجة أصحاب هذا القول:

كثير من القائلين بهذا القول هم تبع لما فهموه من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسألة. وغالبهم يوردها إجمالًا دون

أن يذكر دليلًا أو تعليلًا، وقد ذكر بعض المعاصرين حججًا لهذا القول، أجملها فيما يأتي:

١- أن الداعي لم يسأل الميت، ولم يطلب منه إلا دعاءه لله تعالى، ولم يطلب منه قضاء حاجته بنفسه؛ فبهذا الاعتبار قد لا يكون هذا الطلب مخرجًا له من الإسلام، ففيه احتمال التأويل، وفيه شبهة قد تكون مانعة من الحكم بالشرك. وهناك فرق بين دعائه بأن يفعل بنفسه وبين دعائه بأن يدعو، وهذا الفرق كافٍ في التفريق بين الحكمين[1].

٢- أن طلب الدعاء من الميت واقع على أمر جنسه في مقدور الميت، كالدعاء والاستغفار، فإن الأموات قادرون على مطلق الدعاء والاستغفار، بل وفاعلون له، كما صح من حديث أبي موسى في الاسراء والمعراج أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...**مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره**»[2]، وكذلك رأى لما عرج به إبراهيمَ

(١) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة (٢/ ٤٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٥)، وأحمد في مسنده (٢١/ ٢١٤).

وعيسى يصليان[1]، وقوله ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[2]. وقد قال ابن رجب رحمه الله: «بعض أهل البرزخ يكرمه الله بأعماله الصالحة عليه في البرزخ، وإن لم يحصل له ثواب تلك الأعمال لانقطاع عمله بالموت، لكن إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما يتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة في الجنة، وإن لم يكن لهم ثواب على ذلك؛ لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيم عند أهلها من نعيم جميع أهل الدنيا ولذاتها»[3] وبالتالي فطلب الدعاء من الميت -وإن كان بدعة- فجنسه ليس خارجًا عن قدرة الأموات بالكلية، وبالتالي فلا يكون طلبه منهم شركًا بالله تعالى.

٣- أن طلب الدعاء هنا ليس هو دعاءً مصروفًا لغير الله، فلا يكون صاحبه مشركًا مخالفًا لمثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٦).

(٢) أخرجه أبويعلى في مسنده (٦/ ١٤٧)، والبيهقي وصححه في حياة الأنبياء (ص١)، من حديث أنس بن مالك. وصححه الألباني (١/ ٤٥٦). وحسين أسد في تحقيقة لمسند أبي يعلى (٦/ ١٤٧).

(٣) أهوال القبور لابن رجب (ص٦٨، ٦٩).

ﭐلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾، فإن الدعاء في هذه الآية هو دعاء العبادة الذي لا يجوز صرفه لأي مخلوق، حيًّا كان هذا المخلوق أو ميتًا.

٤- أن طلب الدعاء من الميت لا يصل بذاته إلى الدخول في أبواب الشرك الأكبر إلا إذا اقترن به ما يدخله في هذا الباب؛ إذ حقيقة الشرك الأكبر المخرج من الملة هو جعل شريك مع الله، يصرف له ما يختص به الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أمر: ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه، وصفاته، وهذا ما لا يظهر لمن طلب من غيره الدعاء فقط.

٥- أن طالب الدعاء وطالب الحاجة من الميت ليسا على درجة واحدة، بل التفاوت واقع بينهما، وأن الشبهة قريبة في سؤال الميت الدعاء بخلاف غيره مما لا يقدر عليه مطلقًا بما يمكن أن تلتحق هذه المسألة بخفي المسائل من أمر الشرك، لا من مسائله الظاهرة.

٦- أن الإنسان لو سأل الحيَّ الحاضر ما يُشتبه في قدرته عليه من عجزه؛ لاعتقاد السائل قدرته عليه، ثم ظهر عجزه لما عُدّ هذا الفعل شركًا أكبر، ولو كان مخطئًا في اعتقاده في

قدرة الحي الحاضر للشبهة الواقعة في هذا الباب، والأصل بقاء الإسلام، وعدم إيقاع الشرك إلا بيقين، فكذا يقال في هذه المسألة سواء بسواء[١].

(١) انظر: تصحيح الدعاء للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٢٥٠).

المبحث الرابع

العلماء الذين صرحوا بأنه شرك بالله

وفيه مطالب:

المطلب الأول: حكاية أقوالهم:

ذهب جمع من أهل العلم إلى أن طلب الدعاء من الميت يعتبر شركًا أكبر مخرجًا من الملة، وأنه لا فرق في الحكم بين طلب الدعاء من الميت وبين طلب الشفاعة منه؛ إذْ الكل دعاء تم صرفه لغير الله تعالى، وقد سبق ذكر شيء من ذلك عند الحديث عن مناط الاستشفاع في المبحث الثاني.

ومن هؤلاء العلماء:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد تقدمت عنه نقولات تفيد وصف الفعل بأنه بدعة، أو وسيلة إلى الشرك، لكنه في مواضع أخرى صرح فيها بأن هذا الفعل شرك بالله، ومن ذلك قوله: «وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ يَقُولُونَ: إنَّا نَسْتَشْفِعُ بِهِمْ، أَيْ: نَطْلُبُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا، فَإِذَا أَتَيْنَا قَبْرَ أَحَدِهِمْ طَلَبْنَا مِنْهُ أَنْ يَشْفَعَ لَنَا ... فَيَقُولُ

أَحَدُهُمْ: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ، أَوْ يَا سَيِّدِي جرجس، أَوْ بطرس، أَوْ يَا سِتِّي الحَنُونَةُ مَرْيَمُ، أَوْ يَا سَيِّدِي الخَلِيلُ، أَوْ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، اشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّك. وَقَدْ يُخَاطِبُونَ المَيِّتَ عِنْدَ قَبْرِهِ: سَلْ لِي رَبَّك. أَوْ يُخَاطِبُونَ الحَيَّ وَهُوَ غَائِبٌ، كَمَا يُخَاطِبُونَهُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا حَيًّا، وَيُنْشِدُونَ قَصَائِدَ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ فِيهَا: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ، أَنَا فِي حَسَبِك، أَنَا فِي جِوَارِك، اشْفَعْ لِي إِلَى اللهِ، سَلْ اللهَ لَنَا أَنْ يَنْصُرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، سَلْ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا هَذِهِ الشِّدَّةَ، أَشْكُو إِلَيْك كَذَا وَكَذَا، فَسَلْ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ هَذِهِ الْكُرْبَةَ. أَوْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: سَلْ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ... فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْ خِطَابِ المَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ -بَعْدَ مَوْتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ، وَفِي مَغِيبِهِمْ- وَخِطَابِ تَمَاثِيلِهِمْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ المَوْجُودِ فِي المُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا مِنْ الشِّرْكِ وَالْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ تَعَالَى»(١)، فقد اعتبره الشيخ من أعظم أنواع الشرك.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى (١/ ١٥٧).

وقوله كذلك: «ومن رحمة الله تعالى، أن الدعاء المتضمن شركًا، كدعاء غيره أن يفعل، أو دعائه أن يدعو، ونحو ذلك، لا يحصل غرض صاحبه، ولا يورث حصول الغرض شبهة إلا في الأمور الحقيرة، فأما الأمور العظيمة، كإنزال الغيث عند القحوط، أو كشف العذاب النازل، فلا ينفع فيه هذا الشرك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾»[(١)] [الأنعام: ٤٠، ٤١].

ويقول أيضًا: «فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصًا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلى نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وجد ما هو عين الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالى»[(٢)].

وفي موضع رابع يقول: «وإذا جاز طلب هذا منه، جاز أن يطلب ذلك من الملائكة، فيقال: يا جبريل، يا ميكائيل، اشفع لنا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٤).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٠٤).

إلى ربك، ادع لنا. ومعلوم أن هذا ليس من دين المسلمين، ولا دين أحد من الرسل، لم يسنّ أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتى، والغائبين، والملائكة، دعاءً، ولا شفاعةً، بل هذا أصل الشرك، فإن المشركين إنما اتخذوهم شفعاء»[(١)].

ويقول أيضًا: «فليس في سؤال الحي للميت فائدة للحي، ولا للميت، بل فيه شرك بالميت، وإيذاء له، فإن دعاءه يؤذيه، وليس فيه فائدة للحي، بل فيه ظلمه لنفسه، وشركه بربه، وإيذاؤه للميت، ففيه أنواع الظلم الثلاثة»[(٢)].

ويقول: «والمقصود هنا التنبيه على أن الشرك أنواع:

فنوع منه يتخذونهم شفعاء يطلبون منهم الشفاعة والدعاء من الموتى والغائبين، ومن تماثيلهم»[(٣)].

٢- شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فحين ذكر الشرك الأكبر قال: «ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وبين عبادات أهل الشرك والنفاق (ص١٢١).

(٢) المرجع السابق (ص٧٤).

(٣) المرجع السابق (ص١٣٥).

أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده»[(١)].

وقال: «فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه، والدعاء به»[(٢)].

٣- أئمة الدعوة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

لا يكاد يختلف موقف أئمة ومشايخ الدعوة وتلامذتهم -رحمهم الله جميعًا- أن هذا الفعل يعد من الشرك الأكبر، بل بعض الباحثين ذكر أن ذلك إجماعًا منهم[(٣)].

وذلك أنهم يرون أن هذا الفعل لا يختلف مطلقًا عن طلب الشفاعة التي جاء النص القاطع بوصفها شركًا بالله تعالى، كما تقدم في المبحث الثاني.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٨).

(٣) انظر: التوضيح والتتمات على كشف الشبهات (ص١٢٤).

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النوع الثاني: أن يدعو الله، ويدعو معه نبيا، أو وليًّا، ويقول: أريد شفاعته، وإلا فأنا أعلم: ما ينفع، ولا يضر إلا الله؛ لكن أنا مذنب، وأدعو هذا الصالح، لعله يشفع لي؛ فهذا الذي فعله المشركون، وقاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتركوه؛ ولا يدعوا مع الله أحدًا، لا لطلب شفع، ولا نفع»[(١)].

وقال -عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤]-: «فأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أن دعاء غير الله شرك، فمن قال: يا رسول الله؛ أو: يا عبد الله بن عباس؛ أو: يا عبد القادر؛ أو: يا محجوب؛ زاعمًا أنه يقضي حاجته إلى الله تعالى، أو أنه شفيعه عنده، أو وسيلته إليه، فهو الشرك الذي يهدر الدم، ويبيح المال»، وعبارته واضحة في أن الطلب من الميت هو دعاء واستشفاع، لا فرق بينهما.

(١) الدرر السنية (٣/ ٨٠).

يوضح ذلك حفيده الملقب بالمجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد صاحب كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، فيقول: «وأما مسألة: استغاثة الأحياء بالموتى في طلب الجاه، والسعة للرزق والأولاد، مثل أن يقول عند المقبور: أن تدعو الله في دفع فقرنا، وبسط رزقنا، وكثرة أولادنا، وشفاء مريضنا، لأنكم سلف مستجابو الدعوات عند الله. فالجواب: هذا من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله، وهذا شرك في الربوبية والإلهية؛ وقد كان شرك المشركين في جاهليتهم، بطلب الشفاعة والقربة»[(١)].

وحين رد على أهل التوسل الشركي قال: «فإن كانوا أرادوا بالتوسل: دعاء الميت، والاستشفاع به، فهذا هو شرك المشركين بعينه؛ والأدلة على بطلانه في القرآن كثيرة جدًّا»[(٢)].

ويقول حفيده الثاني صاحب كتاب (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد:

(١) فتاوى الشيخ عبد الرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٣٦).

(٢) الدرر السنية (٣/ ٢٣٥).

«واعلم: أن التوسل بذات المخلوق، أو بجاهه: غير سؤاله، ودعائه. فالتوسل بذاته، أو بجاهه أن يقول: اللهم اغفر لي، وارحمني، وأدخلني الجنة بنبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بجاه نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحو ذلك، فهذا بدعة ليس بشرك.

وسؤاله ودعاؤه، هو أن يقول: يا رسول الله، اسألك الشفاعة، أو: أنا في كرب شديد، فرج عني، أو: استجرت بك من فلان، فأجرني، ونحو ذلك. فهذا كفر، وشرك أكبر ينقل صاحبه عن الملة، لأنه صرف حق الله لغيره، لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله، فمن دعاه فقد عبده، ومن عبد غير الله فقد أشرك، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر. كثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق، أو بجاهه، وبين دعائه، وسؤاله»[(١)].

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن حين ساق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري: «وعقلاؤهم يقولون: مقصودنا، أن يسأل الله لنا، ويشفع لنا؛ ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته، أنه يسأل الله لهم، فإنه يسأل

(١) الدرر السنية (٣/ ١٦٢).

ويشفع، كما كان يسأل ويشفع، لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره؛ وكما يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة. ولا يعلمون: أن سؤال الميت والغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله، وطلب الدعاء منه، إلى سؤال غيره، وطلب الدعاء منه؛ وأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر الأنبياء، والصالحين، وغيرهم، لا يطلب من أحدهم بعد موته، من الأمور ما كان يطلب منه في حياته» انتهى.

ثم قال معلقًا: «فانظر رحمك الله: إلى ما ذكره هذا الإمام، من أنواع الشرك الأكبر، الذي قد وقع في زمانه، ممن يدعي العلم والمعرفة، وينتصب للفتيا والقضاء، لكن لما نبههم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك، وبيّن لهم: أن هذا من الشرك الأكبر، الذي حرمه الله ورسوله، تنبه من تنبه منهم، وتاب إلى الله، وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال، وانقاد للحق»(١).

٤- العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ

(١) الدرر السنية (١/ ٣٩٧).

لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:٦٤]، يقول: «أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلْمَهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك؛ لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك»[1].

٥- الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من دعا غير الله، والتجأ إليه، واستغاث به، وطلب منه الشفاعة بعد موته أشد كفرًا ممن قال كلمته في رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ»[2].

«... فإن التوسل بالأموات من الأنبياء والصالحين وغيرهم -في عرف هؤلاء هو: دعاؤهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، والاستغاثة بهم، والالتجاء إليهم، الذي هو مخ العبادة- عند الله وعند رسوله وعند أولي العلم شرك، وكفر، وخروج من الدين بإجماع المسلمين، وكذلك طلب الشفاعة وغيرها من

---

(١) تفسير السعدي (ص١٤٨).

(٢) السيف المسلول على عابد الرسول للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ص١١٨).

نبي أو غيره بعد موته، كأن يقول: يارسول الله اشفع لي ... هو أصل شرك المشركين يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله»[(١)].

٦- الشيخ محمد الأمين السويدي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: «... أن يسأله الشفاعة عند الله تعالى لقضاء الحاجة، مثل أن يقول: يا فلان الولي، اشفع لي عند الله أن يقضي حاجتي، ويكشف كربتي، ونحو ذلك. فهذا كله وأمثاله ليس من التوسل بالميت لغة، بل هو استغاثة بالميت وطلب منه، وهو إشراك صريح بالله تعالى. بل هو أمٌّ لعدة أنواع من الشرك بالله تعالى، كالشرك في علم الغيب، والشرك في التصرف، والشرك في السمع»[(٢)].

٧- الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد سئل عند شرحه لكشف الشبهات فقال السائل: «كثير من الطلبة –يا شيخ– يفهم من الشرك أنه طلب قضاء الحاجة من الأموات، يقول: إذا طلب منه الشفاعة أنه يطلب له الدعاء، يعني: يدعو له، يقول: ما هو من الشرك الأكبر لكنه بدعة.

(١) السيف المسلول على عابد الرسول للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ص٤١).
(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ١٤٨٤).

فأجاب الشيخ: لا، من الشرك الأكبر، ما يستطيعون يدعون له، ولا يشفعون له، كلهم مرتهنون بأعمالهم، الدعاء في الشفاعة في حياته، ولهذا لما استسقى عمر والصحابة ما استسقوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشفع لهم، استسقوا بالعباس ويزيد بن الأسود بالدعاء، لو كان هذا نافعًا وشرعيًّا استسقوا بالنبي: ادع لنا يا رسول الله، وهو في قبره»[(١)].

وحين سئل: أحسن الله إليك يا شيخ، من جاء إلى قبر وطلب منه أن يدعو له عند الله؟

فأجاب: «هذا شرك كذلك؛ لأن الميت لا يملك ذلك، فإذا قال له: اشفع لي، ادع الله لي، أشرك بالله على الصحيح، فقد طلب منه ما لا يقدر عليه».

ثم سئل: زعم بعض الناس أن هذا قول ابن تيمية. هل هذا صحيح؟

فأجاب: «لا، ليس هذا بصحيح عن ابن تيمية، وقد صرح ابن تيمية أن هذا شرك أكبر»[(٢)].

---

(١) شرح كشف الشبهات للشيخ ابن باز (ص٥٠، ٥١).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٨).

٨- اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية:

للجنة الدائمة فتوى صريحة في اعتبار طلب الاستغفار من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته من الشرك بالله، فقد أجابت اللجنة عن سؤال برقم (١٦٩٦٤) يقول:

س: يعيش كثير من الناس في الخرافات والبدع ودياجير الجهالة، ومنهم من يجيئون للحج، ويدعون الدعاء الآتي بعد الطواف وبعد زيارة المدينة المنورة. يقول بعض العلماء: هذا الدعاء من الشرك والكفر، والله أعلم. نرجو منكم إجابة صحيحة. بارك الله لكم في الدارين.

ونص الدعاء هو: (توفني مسلمًا، وألحقني بالصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين، نحن وفدك يا رسول الله، وزوارك، جئنا لقضاء حقك، والتبرك بزيارتك، والاستشفاع مما أثقل ظهورنا، وأظلم قلوبنا، فليس لنا شافع غيرك نأمله، ولا رجاء لنا غير بابك نصله، فاستغفر لنا، واشفع لنا إلى ربك، واسأله أن يمنَّ علينا بسائر طلباتنا، ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين والعلماء والعاملين، اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك سيدنا محمد نبي الرحمة، يا رسول الله، أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضيها، اللهم فشفعه فيّ، وصلى الله

على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين).

الجواب: «هذا الدعاء يدل على جهل كبير، والداعي به على خطر عظيم؛ لما فيه من ألفاظ شركية وبدعية، فيجب هجرك هذا الدعاء وأمثاله من الأدعية المخترعة المحتوية على ألفاظ شركية وأخرى بدعية، ولا يجوز الدعاء بها بعد الطواف، ولا بعد الزيارة، ولا في غيرهما، وقد علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته كيفية الدعاء وآدابه، وسد منافذ الشرك والبدع، وفي ذلك غنية لمن وفقه الله، وحرص على اتباع هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتمسك بالشرع المطهر. والرسول إنما تطلب منه الشفاعة والدعاء في حال حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا، وهكذا يوم القيامة حين يطلب منه المؤمنون أن يشفع لهم، أما بعد الموت وقبل البعث فلا يجوز، بل هو من الشرك. والله أعلم، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[(١)].

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

بكر أبو زيد — عبد العزيز آل الشيخ — صالح الفوزان

عبد الله بن غديان — عبد العزيز بن عبد الله بن باز

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٢٩-٢٣١).

وللجنة الدائمة فتوى أخرى في التوسل قد تشتبه بهذه المسألة، ربما ظن القارئ لها أنها منطبقة عليها، وهي قولهم: «وهؤلاء الذين يقصدون صاحب القبر إن كانوا يفعلون ذلك من أجل دعاء الله عنده، ويظن قاصده أن هذا أجدى للدعاء، ويريد التوسل به والاستشفاع به، فهذا لم تأت به الشريعة، والوسائل لها حكم الغايات في المنع ... والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما كانوا يتوسلون بذات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم، فالاستعانة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه جائزة، ولا يجوز أن يطلب منه ما هو من حق الله جَلَّ وَعَلَا، هذا في الحي، فأما الميت فلا يجوز التوسل به والاستشفاع به مطلقًا، بل هو وسيلة من وسائل الشرك كما سبق»[(١)]. وهذه الفتوى عند التأمل ليست متعلقة بمسألة طلب الدعاء من الميت، وإنما هي بمن يتوسل بجاه الأموات وذواتهم، فيعكف عند قبورهم، ويسأل الله بهم كما نصت الفتوى في أولها من أنهم يقصدون القبر: (من أجل دعاء الله عنده)، فلاحظ أنهم يدعون الله عند القبر ظانين أن هذا المكان

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٤٩٤، ٤٩٣).

أجدى للدعاء، ويجعلون ذلك وسيلة وقربى إلى الله، لا أنهم يطلبون من الميت ويسألونه الدعاء.

٩- الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الشيخ: «لم يبق عند المستغيثين بغير رب العالمين شبهة تذكر إلا أن يقولوا: سلمنا بكل ما ذكرتم، ولكن هل من مانع يمنع أن نطلب منهم ما كان بمقدورهم في الحياة الدنيا، كالدعاء مثلًا، فبدل أن نقول مثلًا: يا رسول الله أغثنا، أو اشفع لنا. نقول: ادع الله لنا أن يغيثنا، أو أن يشفعك فينا. ولا نقول: يا رسول الله اغفر لنا ذنوبنا، وإنما نقول: استغفر لنا ذنوبنا. بل إن هذا بعينه هو قصدنا -نحن المستغيثين به أو بغيره من الأولياء والصالحين والطلب منهم- وإن أسأنا التعبير ... وجوابًا عليه أقول: إن سلمنا بأن ذلك هو القصد، فالطلب من أصله خطأ وضلال لا يجوز، بل يجب الامتناع منه فورًا، وبيانه من وجهين: الأول: أنه ينافي الإخلاص لله تعالى في دعائه وعبادته وحده، وفي ذلك آيات كثيرة صريحة في النهي عن دعاء غير الله تعالى من الأولياء والصالحين ...».

ثم نقل نقولات عن شيخ الإسلام، وقال بعدها: «والخلاصة: أن طلب الدعاء والشفاعة ونحو ذلك من الأنبياء والصالحين بعد موتهم لا يجوز؛ لأنه شرك، أو ذريعة إلى الشرك، ...»[(١)].

١٠- الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله:

فحين سئل عمن أتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبكى عنده، وقال: يارسول الله، ادع الله أن يغفر لي. يا رسول الله، ادع الله أن ينصرنا. هل هذا شرك أكبر أو أصغر علمًا أنه يعتقد أن المؤثر هو الله وحده؟

فأجاب: «هذه المسألة فيها خلاف في سؤال الميت. إذا سأل الميت أن يسأل الله له، يقول: يا فلان، اسأل الله لي. قيل: إنه شرك، وقيل: إنه ليس بشرك. والصواب: أنه شرك؛ لأنه يصدق عليه أنه دعا غير الله ... هل فيه فرق بين أن أقول: يارسول الله، اسأل الله لي، أو أقول: يا رسول الله، اشفع لي؟ الحكم واحد. الصواب أنه شرك»[(٢)].

(١) من تحقيق الألباني لكتاب: الآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص٢٤-٢٧).

(٢) من شرح الشيخ الصوتي لكتاب أصول السنة لابن أبي زمنين ـ موقع الشيخ على الشبكة: *http: //shrajhi. com/Live/Cat/24*

١١- الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله:

ففي شرحه للطحاوية سئل: من سأل النبي أن يدعو له، وأن يطلب له المغفرة من الله بعد موته، هل هذا شرك؟

«الجـواب: نعـم، هـو شرك أكـبر؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُدعـى بعد موته، فطلب الدعـاء من الميت، وطلب الدعاء بالإغاثة أو الاستسـقاء؛ يعني: أن يدعـو الله أن يغيث، أو أن يدعـو الله أن يغفـر، أو أن يدعـو الله أن يعطـي، ونحو ذلك. هـذا كله داخل في لفظ الدعـاء، والله يقول: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجـن:١٨]، والـذي يقول: إنّ هذه الصـورة -وهي طلـب الدعاء- تخرج عن الطلـب الذي به يكـون الـشرك شركًا، فإنـه ينقض أصل التوحيـد كله في هذا البـاب، فـكل أنـواع الطلـب؛ طلب الدعـاء -يعنـي: طلب الدعـاء من الميت، طلـب المغفرة من الميـت، أو طلب الدعاء مـن الميـت أن يدعو الله أن يغفر، أو طلـب الإغاثة من الميت، أو طلب الإعانة، أو نحو ذلك- كلها باب واحد، هي طلب، والطلـب دعاء، فداخلـة في قوله تعـالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّـهُۥ

لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣]، ونحو ذلك من الآيات، فالتفريق مضاد للدليل، ومن فهم من كلام بعض أئمتنا التفريق أو أن هذا طلب الدعاء من الميت أنه بدعة لا يعني أنه ليس بشرك، بل هو بدعة شركية؛ يعني ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، وإنما كانوا يتقربون ليدعوا لهم، لكن أن يُطْلَبَ من الميت الدعاء! هذا بدعة ما كانت أصلًا موجودة لا عند الجاهليين ولا عند المسلمين فحدثت، فهي بدعة ولا شك، ولكنها بدعة شركية كفرية، وهي معنى الشفاعة، إيش معنى الشفاعة التي من طلبها من غير الله فقد أشرك؟ الشفاعة طلب الدعاء، طلب الدعاء من الميت هو الشفاعة»[(١)].

وقال: «طلب الشفاعة معناه: طلب الدعاء، فالشفاعة وطلب الدعاء واحد، فإذا جاء أحد إلى قبر وقال لصاحب

(١) شرح العقيدة الطحاوية المسمى بإتحاف السائل بما في الطحاوية من المسائل (١/ ١٠٢٩، ١٠٣٠).

القبر: أسألك أن تدعو الله لي. معناه: أسأل الشفاعة، فهي بمنزلة قوله: أسألك أن تشفع لي»[(١)].

وحين سئل عند شرحه لكشف الشبهات، هناك بعض الناس في بلاد أخرى يأتون إلى بعض الناس يزعمون أنهم أولياء، فيطلبون منهم أن يدعوا لهم الله عَزَّوَجَلَّ، فما حكم هذا العمل؟

فأجاب: «إذا أتى إلى ميت: ولي، أو نبي، أو نحو ذلك، فطلب منه أن يدعو الله له؛ يعني قال: يا فلان، ادع الله لي. هذا ميت، هذا هو معنى الشفاعة، فمعنى طلب الشفاعة من الميت طلب أن يدعو الله له، أن يسأل الله، فإذًا قول القائل للميت: ادع الله لي، أو يأتي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خارج الحجرة والأسوار ويقول: يا رسول الله، ادع الله لي أن يرزقني بكذا، ومعنى هذا: اشفع لي بهذا المطلب، لهذا معنى ادع الله لي: اشفع، وحكمها حكم الشفاعة، وقد مر معنا في هذا الكتاب أنّ أولئك ما قصدوا إلا الشفاعة، وهم حين يتقربون للموتى يريدون في النهاية أن الموتى يشفعون لهم إذا طلبوا منهم شيئًا،

(١) شرح كشف الشبهات صالح آل الشيخ (ص٢٥١)، وانظر: (٢٠٩، ٢١٠).

فيأتي يذبح له، ينذر له في المواسم وبين الحين والآخر لظنه أن هذا الميت أو هذا الولي أو هذا النبي أو هذا الجني أو إلى آخره يعرفه بأنه يتقرب إليه، فإذا سأله عند حاجته فإنه مباشرة يرفع حاجته، ويدعوا له، ويطلب له ما سأل؛ لأنه يتقرب إليه، فهم ما عبدوا إلا للقربى، ولا ذبحوا ولا نذروا ولا استغاثوا ولا عملوا هذه الأشياء بأنواع العبادات إلا لأجل أن يُشفع لهم، يعني: أن يشفع لهم من سئل. فإذن من طلب من الميت أن يدعو له هذا معناه: أنه طلب منه أن يشفع له، والشفاعة لا تصلح إلا لله»[(١)].

المطلب الثاني: حجة القائلين بأنه شرك أكبر:

تقدمت جملة من حجج وأدلة هذا القول عند سياق كلام العلماء والنقل عنهم، وهاهنا ذكر المزيد مما هو حجة لهذا القول:

أولًا: أن سؤال الحي للميت وطلبه منه أن يدعو الله له، هو حقيقة الدعاء لغة وشرعًا، من حيث إنه سأل وطلب، والسؤال والطلب دعاء، والدعاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكثر ما

(١) شرح كشف الشبهات صالح آل الشيخ (ص١٢٤)، وانظر: (ص٢٧٧، ٢٨٢).

يستعمل الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء في السؤال والطلب»[(١)].

وقال: «فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة فقد صادم النصوص وخالف اللغة واستعمال الأمة سلفًا وخلفًا»[(٢)].

ثانيًا: أن طالب الدعاء من الميت قد تعلق قلبه بهذا المخاطب، واعتقد قدرته على دعاء الله وسؤاله وإجابة الله له؛ ولهذا فهو يدعوه أن يدعو له، فهو إذًا قد دعا هذا الميت، وطلب منه.

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القسم الثالث من أقسام دعاء المخلوق: «أن تدعو مخلوقًا ميتًا، لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة، فهذا شرك أكبر أيضًا، لأنه لا يدعو من كان هذا حاله حتى يعتقد أن له تصرفًا خفيًّا في الكون»[(٣)].

ثالثًا: أن الطلب دعاء، والدعاء هو العبادة، ولا تنتهض حجة من ادعى أن الأول: دعاؤه دعاء عبادة، والثاني: دعاؤه

---

(١) فتح المجيد (ص٢٠٤).

(٢) المرجع السابق (ص٢٠٦).

(٣) القول المفيد (١/ ١٦٠).

دعاء مسألة، وأن ما جاء في النصوص هو في دعاء العبادة؛ لأن هذا تفريق بين متلازمين.

ولا يخفى الفرق بينهما في حال، واجتماعهما في حال أخرى، ذلك أن دعاء العبادة هو: ما يقوم به العابد لله تعالى، وما يؤديه من سائر العبادات بالتذلل، والخضوع، والخوف، والرجاء، وأما دعاء المسألة فهو: الطلب، والسؤال من الله بلسان المقال.

وقد ورد في القرآن الكريم إطلاق الدعاء على ثلاثة أوجه:

١ - تارة جاءت الآيات بلفظ الدعاء، ويراد به دعاء المسألة.

٢ - وتارة جاءت، ويراد بها دعاء العبادة.

٣- وثالثة جاءت، ويراد بها مجموع الأمرين.

فهذه الأوجه هي التي تدور عليها إطلاقات الدعاء في القرآن[1]. فمن أمثلة ورود الآيات القرآنية على الوجه الأول، وهو دعاء المسألة قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم:٣].

(١) انظر: كتاب الدعاء ومنزلته (١/ ١١٨).

ومن أمثلة ورودها في دعاء العبادة: قوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [الصافات:١٢٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣].

ومن أمثلة ورود الآيات بمجموع الأمرين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦].

قال شيخ الإسلام: «قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥، ٥٥]، هَاتَانِ الْآيَتَانِ مُشْتَمِلَتَانِ عَلَى آدَابِ نَوْعَيْ الدُّعَاءِ: دُعَاءُ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ فِي الْقُرْآنِ يُرَادُ بِهِ هَذَا تَارَةً، وَهَذَا تَارَةً، وَيُرَادُ بِهِ مَجْمُوعُهُمَا؛ وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ. فَإِنَّ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ هُوَ: طَلَبُ مَا يَنْفَعُ الدَّاعِيَ، وَطَلَبُ كَشْفِ مَا يَضُرُّهُ وَدَفْعِهِ. وَكُلُّ مَنْ يَمْلِكُ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ

فَإِنَّهُ هُوَ المَعْبُودُ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِلنَّفْعِ وَالضُّرِّ»[(١)]، وقال -عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]-: «يَتَنَاوَلُ نَوْعَيِ الدُّعَاءِ، وَبِكُلٍّ مِنْهُمَا فُسِّرَتْ الْآيَةُ. قِيلَ: أُعْطِيهِ إِذَا سَأَلَنِي. وَقِيلَ: أُثِيبُهُ إِذَا عَبَدَنِي»[(٢)].

وقد يأتي في بعض الآيات يراد بهما النوعان، ولكنه في أحدهما أظهر»، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان:٧٧] أَيْ: دُعَاؤُكُمْ إِيَّاهُ، وَقِيلَ: دُعَاؤُهُ إِيَّاكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، فَيَكُونُ الْمَصْدَرُ مُضَافًا إِلَى الْمَفْعُولِ، وَمَحَلُّ الْأَوَّلِ مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ، وَهُوَ الْأَرْجَحُ مِنْ الْقَوْلَيْنِ. وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِهِ نَوْعَيْ الدُّعَاءِ، وَهُوَ فِي دُعَاءِ الْعِبَادَةِ أَظْهَرُ، أَيْ: مَا يَعْبَأُ بِكُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَرْجُونَهُ، وَعِبَادَتُهُ تَسْتَلْزِمُ مَسْأَلَتَهُ. فَالنَّوْعَانِ دَاخِلَانِ فِيهِ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنَ

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١١).

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]، فَالدُّعَاءُ يَتَضَمَّنُ النَّوْعَيْنِ، وَهُوَ فِي دُعَاءِ الْعِبَادَةِ أَظْهَرُ؛ وَلِهَذَا أَعْقَبَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ الْآيَةُ. وَيُفَسَّرُ الدُّعَاءُ فِي الْآيَةِ بِهَذَا وَهَذَا»[(١)].

ومما يتعين فهمه وإدراكه في هذه المسألة أن نوعي الدعاء مع اختلاف معنييهما إلا أنهما متلازمان، وليسا متضادين، بحيث إنه لا يدل إلا على النوع الذي أريد به، بل معناه أنه في تلك الحالة دلالته على أحد النوعين أظهر، ويدل على النوع الآخر إما بدلالة الالتزام أو بدلالة التضمن، وعلى النوع الذي يكون فيه أظهر بدلالة المطابقة. قال شيخ الإسلام: «فَعُلِمَ أَنَّ النَّوْعَيْنِ مُتَلَازِمَانِ، فَكُلُّ دُعَاءِ عِبَادَةٍ مُسْتَلْزِمٌ لِدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، وَكُلُّ دُعَاءِ مَسْأَلَةٍ مُتَضَمِّنٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ»[(٢)].

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يشبه الضابط في التفريق بينهما في معاني الآيات الواردة، فقال: «وكلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ فِيهِ دُعَاءَ الْمُشْرِكِينَ لِأَوْثَانِهِمْ فَالْمُرَادُ بِهِ: دُعَاءُ الْعِبَادَةِ الْمُتَضَمِّنُ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ، فَهُوَ

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥)، وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١١).

فِي دُعَاءِ الْعِبَادَةِ أَظْهَرُ؛ لِوُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] فَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ دُعَاءَهُمْ إِيَّاهُمْ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ. الثَّانِي: أَنَّ اللهَ تَعَالَى فَسَّرَ هَذَا الدُّعَاءَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء:٩٢، ٩٣]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢]، فَدُعَاؤُهُمْ لِآلِهَتِهِمْ هُوَ عِبَادَتُهُمْ. الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا فِي الرَّخَاءِ، فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الشَّدَائِدُ دَعَوْا اللهَ وَحْدَهُ وَتَرَكُوهَا، وَمَعَ هَذَا فَكَانُوا يَسْأَلُونَهَا بَعْضَ حَوَائِجِهِمْ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهَا، وَكَانَ دُعَاؤُهُمْ لَهَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَدُعَاءَ مَسْأَلَةٍ»[(١)].

فإذا أريد به المسألة والطلب فإنه يدل على العبادة بطريق التضمن؛ لأن الداعي دعاء المسألة عابد لله تعالى بسؤاله، ورغبته، والتضرع إليه، والابتهال إليه، والانطراح بين يديه، وهو يرجو قبول دعوته، وقضاء حاجته، وهو مع ذلك خائف

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١١)، وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ٦).

من طرده، وعدم قبول دعوته، فهذا هو لب العبادة ومخها وروحها وحقيقتها. فالآيات التي ورد فيها الدعاء -مرادًا به: دعاء المسألة- تدل هذه الآيات بطريق التضمن على دعاء العبادة، وأما إذا أريد بالدعاء دعاء العبادة، فإنه يدل على دعاء المسألة بطريق دلالة الالتزام؛ وذلك لأن العابد لله تعالى كالذي يذكر الله مثلًا، فهو في الحقيقة سائل وإن كان لا يأتي بلفظ السؤال، كالذي يطوف على بعض الأبواب والأسواق ليدعو الناس، يكون سائلًا وإن حذف لفظ السؤال[(١)].

رابعًا: أن من لازم هذا السؤال والطلب (الدعاء): أن يكون هذا السائل راغبًا راجيًا فيه من الذل والافتقار والخضوع بحسبه، لا ينفك عن ذلك، وهذه عبادات قلبية لا تصرف إلا لله وحده، وصرفها لغير الله شرك أكبر. يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب، والعكوف بالهمة على الموتى، بما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره، ولا قريب منه»[(٢)].

---

(١) انظر: المنهاج في شعب الايمان للحليمي (١/ ٥٧٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٧٠).

ويقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاء مسألة من: الرغب، والرهب، والخوف، والطمع له»[(١)].

فالعابد لله سبحانه سائل لله تعالى، يسأله الفوز بالجنة، والنجاة من النار رغبًا ورهبًا، ومما يوضح ذلك:

خامسًا: وهو أن العبادة تستلزم السؤال والطلب، فإذا أريد من الدعاء دعاء العبادة فإنه يدل على دعاء المسألة استلزامًا. فالعابد لا بدّ أن يطلب غرضًا ما عاجلًا أو آجلًا، فلا يخلو في قرارة نفسه من رغبة أو رهبة. فمن سأل الأموات وطلب منهم فقد صرف ما لله لغير الله، وقام بقلبه من الرغبة والرهبة والرجاء ما جعله يقف عند قبر الميت ويناديه ويناجيه، وهذا شرك بالله تعالى ظاهر.

وبما تقدم يتضح أن نوعي الدعاء متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فحيث ذكر أحدهما دخل معه الآخر، إما تضمنًا أو التزامًا، وبهذا التقرير يندفع ما يردده بعض المخالفين للسنة من المبتدعة والقبوريين من أن الآيات الواردة

(١) الدرر السنية (١١/ ١١).

في التحذير من دعاء غير الله المراد بها: العبادة فقط، وليس المراد بها: السؤال والطلب، فلا يدخل فيها طلب الشفاعة من الأموات، والتوسل بهم، بل ولا دعاؤهم والاستغاثة بهم، والهتاف باسمهم من مسافات بعيدة. هكذا زعموا، وأوّلوا كل الآيات التي فيها التحذير من دعاء غير الله تعالى بالعبادة.

ولم يقتصروا على هذا فقط، بل ضيقوا معنى العبادة، حيث إن مفهومها عندهم لا يشمل إلا السجود، والركوع، ونحو ذلك، وأما الدعاء والاستغاثة، والنذر، والذبح، وما إلى ذلك فليست داخلة في العبادة[1]، وإطلاق الدعاء هو حقيقة في الموضعين، قال شيخ الإسلام: (وَلَيْسَ هو مِنْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ كِلَيْهِمَا، أَوْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ؛ بَلْ هَذَا اسْتِعْمَالُهُ فِي حَقِيقَتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، فَتَأَمَّلْهُ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ عَظِيمُ النَّفْعِ، وَقَلَّ مَا يُفْطَنُ لَهُ. وَأَكْثَرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ دَالَّةٌ عَلَى مَعْنَيَيْنِ فَصَاعِدًا، فَهِيَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. مِثَالُ ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء:٧٨] فُسِّرَ «الدُّلُوكُ» بِالزَّوَالِ، وَفُسِّرَ بِالْغُرُوبِ، وَلَيْسَ

---

(١) انظر: الدعاء ومنزلته (ص١١٦).

بِقَوْلَيْنِ؛ بَلْ اللَّفْظُ يَتَنَاوَلُهُمَا مَعًا؛ فَإِنَّ الدُّلُوكَ هُوَ الْمَيْلُ، وَدُلُوكُ الشَّمْسِ مَيْلُهَا، وَلِهَذَا الْمَيْلِ مُبْتَدَأٌ وَمُنْتَهًى، فَمُبْتَدَؤُهُ: الزَّوَالُ، وَمُنْتَهَاهُ: الْغُرُوبُ، وَاللَّفْظُ مُتَنَاوِلٌ لَهُمَا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ»[(١)].

سادسًا: أن حقيقة هذا السؤال والطلب (الدعاء) هو طلب شفاعة هذا المقبور عند الله لمن سأله الدعاء، وهذه هي عقيدة المشركين. يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكن هذا الاستسقاء والاستشفاع والتوسل به وبغيره كأن يكون في حياته بمعنى: أنهم يطلبون منه الدعاء فيدعو لهم، فكان توسلهم بدعائه والاستشفاع به طلب شفاعته، والشفاعة دعاء»[(٢)].

ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعًا له، والشفاعة للمشفوع هذا أصلها، فإن الشافع يشفع لصاحب الحاجة، فيصير له شفعًا في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١١).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨).

(٣) روضة المحبين (ص٣٧٧).

سابعًا: أن الداعي بطلبه الدعاء من الميت قد سوى بين الحي والميت، وهذا باطل ومخالف للشرع والنظر، فإن الميت انتهى عمله وكسبه، لا يملك لنفسه -فضلًا عن غيره- نفعًا ولا ضرًا. وقد دلت النصوص القطعية من الكتاب والسنة على هذا، وبعض الأموات كالأنبياء والشهداء وإن كانوا أحياء في قبورهم فإنه لم يختلف علماء الإسلام أن هذه الحياة حياة برزخية مختلفة الأحكام والصفات والتعلقات عن الحياة الدنيا، فمن طلب من الأموات أن يدعوا له فقد طلب منهم ما لا يقدرون على مثله لأنفسهم ولا لغيرهم، فهو دعاء وطلب لشيء لا يقدر عليه إلا رب السموات والأرض، وهذا مناط الشرك الأكبر المخرج من الملة. «والذين يطلبون من الموتى متناقضون: ذلِك أَنهُمْ قلّما يَطلبوْنَ مِنْ رجل صالح دعاءً مع مَشْرُوْعيته وَإتيان السُّنَّةِ بجوَازِهِ، وَاسْتِحْبَابهِ لِمَنْ ظهَرَ صَلاحُهُ كمَا في قصة أُوَيْس القرَنِيِّ في صَحِيْح مسلِم وَغيْرِه، حَتَّى إذا مَاتَ، وَانقطعَ عَمَلهُ، وَأَصْبَحَ هُوَ في حَاجَةٍ لإِخوَانِهِ أَنْ يَدْعُوا اللهَ لهُ: لجُّوْا في دُعَائِهِ هُوَ، وَالاسْتِغاثةِ بهِ، وَالذَّبح لهُ، وَالتقرُّبِ إليْهِ؛ لاعْتِقادِ بَعْضِهِمْ في الأَوْلِيَاءِ: أَنهُمْ قبْلَ مَوْتِهِمْ كانوْا عَاجِزِيْنَ، وَبالأَسْبَابِ الكوْنِيَّةِ مُقيَّدِيْنَ، فإذا مَاتوْا انْطلقوْا، وَتفلتوْا مِنْ تِلك الأَسْبَابِ، وَصَارُوْا قادِرِيْنَ عَلى كلِّ شَيْءٍ كرَبِّ الأَرْبَاب!

وَلا يَسْتَغْرِبَنَّ أَحَدٌ هَذَا مِمَّنْ عَافاهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الشِّرْكِ عَلَى اخْتِلافِ أَنْوَاعِهِ، فإنَّ فِي المُسْلِمِينَ اليَوْمَ مَنْ يُصَرِّحُ بأَنَّ فِي الكَوْنِ مُتَصَرِّفِينَ مِنَ الأَوْلِيَاءِ دُوْنَ اللهِ تَعَالَى! مِمَّنْ يُسَمُّوْنَهُمْ هُنَا فِي الشَّام بـ«المُدَرِّكِينَ» وَبـ«الأَقطابِ»، وَغيرِهِمْ. وَفِيْهِمْ مَنْ يَقوْلُ: «نَظرَةٌ مِنَ الشَّيْخِ تَقلِبُ الشَّقِيَّ سَعِيْدًا!» وَنَحْوِهِ مِنَ الشِّرْكِيّات»[1].

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن سوى بين الحي والميت بقوله: يطلب من الميت ما يطلب من الحي، فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما، حتى المجانين يعرفون الفرق بين الحي والميت ... ويقال لهذا المساوي بين الأحياء والأموات من المعلوم أن أهل الدنيا يستقضون حوائج بعضهم من بعض، برهم وفاجرهم، مسلمهم وكافرهم، وقد استعار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدرعًا من صفوان بن أمية، وهو مشرك، وما زال المسلمون يستقضون حوائجهم من المسلم والذمي، والبر والفاجر، فيلزم المساوي بين الأحياء والأموات أن يساوي بين أموات المذكورين، كما كانوا في الدنيا كذلك، فإن قال طلب الحاجات مختص بموتى

(١) من مقدمة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب (الآيات البينات في عدم سماع الأموات ...) للألوسي (ص١١) بتصرف.

الصالحين فلا يجوز طلبها من موتى الكفار والفساق. قيل له: نقضت أصلك، حيث فرقت بين أحياء هؤلاء، وأمواتهم! فإن قال: موتى الصالحين أحياء في قبورهم كما زعم، فهو كاذب في ذلك، ولم يرد في ذلك حديث إلا ما أخبر الله عن حياة الشهداء مع أن حياتهم لا تدرك بالحس، ولا بالعقل فالله سبحانه أعلم بحقيقتها، وأما سوى الشهداء غير الأنبياء، فلم يأت خبر عن الرسول أنهم أحياء في قبورهم، وإنما هو افتراء وكذب ... فإن قال: إن صالحي الأموات ينعمون في البرزخ، قيل له: وضدهم يعذبون، فيدركون العذاب كما يدرك الصالح النعيم. وهذا إدراك وإحساس لا يعلم حقيقته إلا الله»[(١)].

وقياس الأموات من الأنبياء والصالحين في الدعاء والطلب على الأحياء القادرين على الأسباب العادية المقدور عليها من أفسد القياس وأبطله؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فرق بين الأحياء والأموات، ولم يسوِّ بينهما بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر:٢٢].

(١) تأسيس التقديس (ص٨٨، ٨٩).

المطلب الثالث: توجيه النقل عن شيخ الإسلام، والجمع بين أقواله في المسألة:

تقدم في مبحث العلماء القائلين بأن هذا الفعل ليس شركًا بالله النقل عن شيخ الإسلام في وصفه لذلك الطلب بأنه بدعة في الدين، وهذا ما جعل البعض يرجح هذا القول ظنًّا منه أنه هو رأي شيخ الإسلام الوحيد المعتبر.

ولكن النقول الأخرى عن شيخ الإسلام التي سبقت في أول هذا المطلب توضح بجلاء موقف شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ. لكن كيف نجيب عن قوله الأول؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن وصف الشيخ لهذه الصورة بالبدعة لا يعارض كونها شركًا أكبر، وهو كلام مستقيم، ويتضح من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول: أن هذا الطلب من الميت بهذه الصيغة لم يكن معروفًا عند الكفار، ولا حتى عند مشركي قريش، وإنما كان شركهم هو دعاءَهم بطريقة الاستشفاع ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، فالطلب من الميت على هذا النحو: طريقة مبتدعة.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «ومن فهم من كلام بعض أئمتنا التفريق أو أن هذا طلب الدعاء من الميت أنه بدعة، لا يعني أنه ليس بشرك، بل هو بدعة شركية؛ يعني ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، وإنما كانوا يتقربون ليدعوا لهم، لكن أن يُطْلَبَ من الميت الدعاء: هذا بدعة ما كانت أصلًا موجودة، لا عند الجاهليين، ولا عند المسلمين، فحدثت، فهي بدعة، ولا شك»[١].

الأمر الثاني: أن البدعة هي: كل ما أحدث في الدين مما ليس منه، ولا نزاع أن هذه المسألة من البدع باعتبار المعنى اللغوي والشرعي للبدعة، وعليه يحمل كلام شيخ الإسلام، خصوصًا أنه قد استعمل هذا الوصف في الشرك الأكبر في مواضع من كتبه، منها:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن هنا أدخل أهل النفاق في الإسلام ما أدخلوه، فإن الذي ابتدع دين الرافضة كان زنديقًا يهوديًّا»[٢]، وقال: «وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد»[٣].

---

(١) إتحاف السائل (٨/ ٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦١).

(٣) المرجع السابق (٢٧/ ١٦٢).

بل نص على تسمية الشرك بالبدعة حيث يقول: «والشرك بدعة»[(١)]. ونص كذلك على أن البدع منشؤها من الكفر إذ يقول: «وذلك لأن البدع مشتقة من الكفر، فإن المشركين وأهل الكتاب هم مع القدرة يحاربون المؤمنين، ومع العجز ينافقونهم»[(٢)]. فاستعمال الشيخ لمصطلح البدعة فيما هو كفر وشرك جارٍ على مقتضى اللغة والشرع، فلا إشكال فيه.

الأمر الثالث: أن البدع تنقسم إلى قسمين: بدع مكفرة، وبدع غير مكفرة، وكلام الشيخ محمول على القسم الأول.

الأمر الرابع: أن المجيزين لهذا الطلب يزعمون أنه من قبيل طلب الشفاعة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابتة له! لكن أهل السنة مجمعون أن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواعًا من الشفاعات، ولم يذكروا منها سؤاله إياها في قبره، وبالتالي فهي بدعة باعتبار إحداثها بعد القرون الفاضلة، وأول من أحدث بدع القبور والتعلق بها وسؤال أصحابها: هم الرافضة، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعُصُورِ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٧٥).
(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٥٢٧).

الْمُفَضَّلَةِ (مَشَاهِدُ) عَلَى الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا ظَهَرَ ذَلِكَ وَكَثُرَ فِي دَوْلَةِ بَنِي بويه؛ لَمَّا ظَهَرَتْ الْقَرَامِطَةُ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، كَانَ بِهَا زَنَادِقَةٌ كُفَّارٌ مَقْصُودُهُمْ تَبْدِيلُ دِينِ الْإِسْلَامِ»[(١)].

خامسًا: أن كلام الشيخ عام في كل ميت، لم يفرق بين سؤاله بحضرة القبر، أو وهو بعيد عن القبر، وله من النصوص في إثبات ذلك كثير، والمنازعون يفرقون بين الصورتين، فالأولى: بدعة، والثانية: شرك أكبر، مع أن النص الذي اعتمدوه واحد، فأين هذا التفريق في كلام الشيخ؟[(٢)].

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقًا وأمرًا، فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتًا أو غائبًا أو يستغيثوا به، سواء كان ذلك عند قبره، أم لم يكن عند قبره ... وهم لا يقدرون على ذلك»[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦٧).

(٢) انظر: حكم سؤال المقبور الشفاعة لسالم سعيد المقبالي.
http: //www. al-aqidah. com/?aid=show&uid=bim٠٢oug

(٣) الرد على البكري (ص٤٤٧).

ويقول: «ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بعدوا عنها»[(١)].

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يفرق بين سؤال الميت بحضرة قبره، أو وهو بعيد عن القبر، وعليه يلزمهم تعميم الحكم بالبدعة على كلتا الحالتين، وهم لا يقولون بذلك.

سادسًا: أن الشيخ قرن الغائب بالميت في الحكم بالبدعة على هذا الفعل، وقد سبق أنه لا خلاف أن سؤال الغائب شرك أكبر، فيلزم من قال بأن سؤال الحي للميت بحضرة القبر بدعة فقط معتمدًا على ما نقل عنه أنه: بدعة أن يكون دعاء الغائب بدعةً أيضًا، وليس بشرك عنده وعند شيخ الإسلام، ولا قائل بذلك من أهل التوحيد والسنة، وكثيرًا ما يقرن الشيخ بين دعاء الميت والغائب، مما يؤكد أنه لا يفرق في الحكم عليهما.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه عن مراتب دعاء المخلوق: «أن يدعو غير الله، وهو ميت، أو غائب»[(٢)].

---

(١) الرد على البكري (ص٤٤٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥١).

ويقول: «وقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء، كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه، وأما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شيء»[(١)].

وقال: «ومن رحمة الله تعالى أن الدعاء المتضمن شركًا، كدعاء غيره أن يفعل، أو دعائه أن يدعو، ونحو ذلك، لا يحصل غرض صاحبه، ولا يورث حصول الغرض شبهة إلا في الأمور الحقيرة، فأما الأمور العظيمة، كإنزال الغيث عند القحوط، أو كشف العذاب النازل، فلا ينفع فيه هذا الشرك ... وإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله خالصًا عند القبور، لئلا يفضي ذلك إلى نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وجد ما هو نوع الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالى»[(٢)].

فبمجموع هذه النصوص يتبين أن سؤال الحي للميت بأن يدعو الله له، أو يسأل الله له، أو نحو ذلك من الأمور،

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٤٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٤).

سواء كان بحضرة قبره، أو بغير حضرة قبره أنه شرك أكبر، وأن هذا ما يقوله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلا تصح النسبة إليه بأن هذه الصورة بدعة فقط(١).

المطلب الرابع: الجواب عن استدلالات القائلين بأنه مجرد بدعة:

الدليل الأول: قولهم: إن الداعي لم يسأل الميت ولم يطلب منه إلا دعاءه لله تعالى، ولم يطلب منه قضاء حاجته بنفسه، فبهذا الاعتبار قد لا يكون هذا الطلب مخرجًا له من الإسلام، وهناك فرق بين دعائه بأن يفعل بنفسه وبين دعائه بأن يدعو، وهذا الفرق كافٍ في التفريق بين الحكمين.

والجواب على ذلك:

أن هذه الدعوى عامة في كل ميت، إذ لم يقيده بسؤاله بحضرة القبر أو بغير حضرة القبر، ولا قائل بذلك من أهل السنة والتوحيد، فإنهم متفقون على أن سؤال الميت بغير حضرة قبره من الشرك الأكبر، حتى الذين خالفوا في الصورة التي هي محل البحث، لم ينازعوا في أن سؤال الميت بغير حضرة

(١) انظر: حكم سؤال المقبور الشفاعة لسالم سعيد المقبالي:
http: //www. al-aqidah. com/?aid=show&uid=bim02oug

قبره أنه شرك مخرج من الملة، معللين ذلك بأن فيه ادعاء علم الغيب للميت، وهذا كفر بالإجماع، ثم أي دليل وبرهان على التفريق بين دعائه بنفسه وبين دعائه أن يدعو الله؟

الدليل الثاني: قولهم: الميت يسمع، وقد ثبت ذلك في بعض النصوص، فبناءً عليه، إذا سئل من قريب كان بدعة، وإذا سئل من بعيد كان شركًا.

والجواب:

أن الأصل في الميت أنه لا يسمع؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النمل:٨٠]، ويستثنى من ذلك ما ثبتت به السنة، وسماع الميت إنما ورد في مواضع مخصوصة ولأشياء مخصوصة؛ فيقتصر عليها، وليس منها سؤال الميت الدعاء، ولو فرض جدلًا أنه يسمع مطلقًا، فإنه لا يستطيع إجابة من سأله لأنه قد انقطع عمله، وهذا الحكم عام في القريب والبعيد، وإلا للزم أن يخاطب بكل ما يخاطب به الحي؛ لأنهما قد اشتركا في السماع[(١)].

(١) انظر: حكم سؤال المقبور الشفاعة لسالم سعيد المقبالي:
http: //www. al-aqidah. com/?aid=show&uid=bim02oug

الدليل الثالث: قولهم: إن طلب الدعاء من الميت واقع على أمر جنسه في مقدور الميت كالدعاء والاستغفار، فإن الأموات قادرون على مطلق الدعاء والاستغفار، بل وفاعلون له، كما صح من حديث أبي موسى في الإسراء والمعراج أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... **مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره**»[(١)].

والجواب: أن هذه الحياة حياة برزخية، تختلف أحكامها تمامًا عن أحكام الحياة الدنيا، ولا شبهة في ذلك البتة، ثم إن ما ثبت في النصوص عن بعض الأنبياء أو غيرهم أنهم يصلون، فذلك إكرام من الله لهم وتنعيمًا، وليس تكليفًا، وهو يشبه حال أهل الجنة الذين يلهمون الذكر والتسبيح كما يلهمون النفس. قال شيخ الإسلام: «بل ما يفعله - أي: الميت - من ذكر لله تعالى ودعائه ونحو ذلك، كما أن موسى يصلي فى قبره، وكما صلى الأنبياء خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج ببيت المقدس، وتسبيح أهل الجنة والملائكة، فهم يُمتّعون بذلك، وهم يفعلون ذلك بحسب ما ييسّره الله لهم ويقدره لهم، ليس هو من باب التكليف الذى يمتحن به العباد»[(٢)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه وقد تقدم تخريجه (ص٥٤).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى (١/ ١٦١).

وكونهم فاعلين للصلاة والدعاء في قبورهم، لا يصح جعل ذلك دليلًا على قدرتهم الدعاء لغيرهم، ومن يستدل بذلك على وقوع ذلك في مقدور الأموات يلزمه أن يطرد قوله، ويقبل من القبوريين هذا الفعل دون تبديع، وإلا وقع في شيء من التناقض.

الدليل الرابع: قولهم: إن طلب الدعاء هنا ليس هو دعاء مصروفًا لغير الله، فلا يكون صاحبه مشركًا مخالفًا لمثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨]، فإن الدعاء في هذه الآية هو دعاء العبادة الذي لا يجوز صرفه لأي مخلوق، حيًّا كان هذا المخلوق أوميتًا.

والجواب: تقدم الحديث عن التلازم بين نوعي الدعاء: دعاء العبادةن ودعاء المسألة، فلا وجه للتفريق بينهما في هذا الموطن؛ إذ إن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة؛ لأن الداعي دعاء المسألة عابد لله تعالى بسؤاله، ورغبته، والتضرع إليه، والابتهال إليه، والانطراح بين يديه، وهو يرجو قبول دعوته، وقضاء حاجته، وهو مع ذلك خائف من طرده، وعدم قبول دعوته، فهذا هو لب العبادة ومخها وروحها وحقيقتها،

والآيات التي ورد فيها الدعاء مرادًا به دعاء المسألة تدل هذه الآيات بطريق التضمن على دعاء العبادة.

الدليل الخامس: قولهم: إن طلب الدعاء من الآخرين ليس خاصًّا بالله؛ فلذا يجوز طلبه من الحي، ولو كان خاصًّا بالله لما جاز طلبه من الحي لكونه خاصًّا بالله.

والجواب: أن طلب الدعاء من الحي هو من جنس الأسباب الحسية المعلومة التي أقدره الله عليها، بخلاف الطلب من الميت، فإن هذه الأسباب قد انقطعت عنه، فطلبه في هذه الحال طلب من شخص غير قادر على الإجابة، وهذا من الشرك.

ثم إن طلب الدعاء ممن يقدر عليه، وهو الحي الحاضر القادر مرتبة، وسؤال الميت وطلبه مرتبة أخرى، وفرق بين الأمرين[1].

الدليل السادس: قولهم: إن طلب الدعاء من الميت لا يصل بذاته إلى الدخول في أبواب الشرك الأكبر إلا إذا اقترن به ما يدخله في هذا الباب؛ إذ حقيقة الشرك الأكبر المخرج من

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى (١/ ١٦١).

الملة هو جعل شريك مع الله، يصرف له ما يختص به الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أمر: ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وهذا ما لا يظهر لمن طلب من غيره الدعاء فقط.

والجواب: أن إجابة الدعاء وقضاء الحوائج مما يختص به رب العالمين، فكيف يصح صرفه لغيره تعالى؟! ثم إنه لا خلاف أن الطلب من المقبور بياء النداء دعاء صريح، سواء طُلب منه أن يدعو أو غير ذلك، وهذا من الشرك الأكبر. قال الراغب في المفردات: «الدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بيا، أو أيا، ونحو ذلك من غير أن يُضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر»(١). وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمي النداء دعاء؛ لأن مدلولها واحد، من باب الترادف على معنى واحد»(٢).

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمشركون من هؤلاء قد يقولون: إنا نستشفع بهم، أي: نطلب من الملائكة والأنبياء أن

(١) المفردات (ص١٧٠، ١٦٩).

(٢) كشف ما ألقاه إبليس (ص٧١).

يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا، فإذا صورنا تمثاله - والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم - قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها وسيرهم، ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى الله، فيقول أحدهم: يا سيدي فلان، أو يا سيدي جرجس، أو بطرس، أو يا ستي الحنونة مريم، أو يا سيدي الخليل، أو موسى بن عمران، أو غير ذلك، اشفع لي إلى ربك، وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لي ربك، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرًا حيًّا، وينشدون قصائد، يقول أحدهم فيها: يا سيدي فلان، أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا، فسل الله أن يكشف هذه الكربة، أو يقول أحدهم: سل الله أن يغفر لي ... فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي

مبتدعة أهل الكتاب، والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله»[(١)].

المطلب الخامس: إيرادات على أصحاب القول الأول:

ثمت مناقشات و إيرادات علمية ترد على من قال بأن سؤال الميت والطلب منه بأن يدعو الله أو يسأل الله: بدعة، لا تصل إلى الشرك الأكبر، وهي كالتالي:

أولًا: ما الحكم لو أن رجلًا ذبح لصاحب القبر، ولم يتكلم بأي كلمة، إنما ذبح له فقط عند قبره، ويريد بهذا الذبح في قرارة نفسه: أن يتوسط له المقبور عند الله. ما الحكم؟

إن قالوا: هو شرك أكبر؛ لأنه ذبح لغير الله. قلنا: ما الفرق بين الذبح والطلب أو الدعاء؟ كلاهما عبادة صرفت لغير الله، فبدل أن يذبح له لكي يشفع له، ناداه ودعاه ليشفع له.

ثانيًا: ما هو شرك المشركين؟ أليس منه أنهم يطلبون التوسط من الأصنام والأوثان، وينادونها لتشفع وتتوسط لهم عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فما الفرق؟

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٥٨).

فإن قالوا: هذه أصنام وأوثان. قلنا: والقبر إذا عبد أصبح وثنًا، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللهم، لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»(١).

ثالثًا: أليس من شرك النصارى أنهم يأتون إلى تماثيل مريم وعيسى، ويقولون: يا مريم، اشفعي لنا عند الإله ...؟ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره عنهم، أليس من جاء إلى قبر وقال: يا فلان، إني أريد السفر، فادع الله لي بالسلامة ... أليس مثل قول النصارى؟

فإن قال: لا، هؤلاء نصارى كفار أصليون ... قلنا: لا فرق، فمن عمل الكفر الذي عمله الكفار الأصليون أصبح حكمه حكمهم(٢).

رابعًا: يقال إذا كان طلب الدعاء من الأموات عند قبورهم بدعة وليس شركًا ... فما الحكم لو طلب الدعاء من الملائكة

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠)، وأحمد في المسند (٧/ ١٧٣)، من حديث عطاء بن يسار وصححه الألباني في تخريجه مشكاة المصابيح (١/ ٢٣٤)، وفي تخريجه لفقه السيرة (ص٥٣).

(٢) انظر: التوضيح والتتمات على كشف الشبهات (ص١٢٥).

الحفظة الملازمين له، وقال: يا ملائكة، اشفعي لي عند الله، أو ادعي الله لي؟ فإن قال: بدعة وليست شركًا خالف القرآن في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ:٤٠]، ولقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، وكان عبادتهم للملائكة أنهم يدعونها لتشفع لهم عند الله، ومخالف لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧] فإنها نزلت في معبودين مؤمنين منهم الملائكة، كما ذكره ابن كثير وغيره[(١)].

فكيف يسميه الله: عبادة لهم وشركًا؟ ونقول: إنه مجرد بدعة فقط، لا عبادة لهم، ولا شركًا. قال شيخ الإسلام: «وإذا جاز طلب هذا منه، جاز أن يطلب ذلك من الملائكة، فيقال: يا جبريل، يا ميكائيل، اشفع لنا إلى ربك، ادع لنا. ومعلوم أن هذا ليس من دين المسلمين، ولا دين أحد من الرسل، لم يسنّ أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتى،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٧).

والغائبين، والملائكة، دعاء، ولا شفاعة، بل هذا أصل الشرك، فإن المشركين إنما اتخذوهم شفعاء»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «لو جاز الاستظهار بأرواح الأموات لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة، الذين هم معه لا يفارقونه بيقين، وهم كما وصف الله: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦، ٢٧]، وهذا لا يقوله مسلم أصلًا، بل لو فعله أحد كان مشركًا بالله. فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين، فألا يجوز في حق أرواح أموات، قد فارقت أجسادها، لا يعلم مستقرها إلا الله: أولى»[(٢)].

خامسًا: ثم نقول أيضًا مثل ما سبق: ما الحكم لو دعا الجنَّ، وطلب منهم، وقال: يا جنُّ، اشفعوا لي عند الله ... فإن بعض العرب كانت تعبد الجن، ومعلوم بالضرورة أن العرب ما كانت تعتقد فيمن تدعوه أنه خالق رازق، إنما دعاؤهم

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والايمان وبين عبادات أهل الشرك والنفاق (ص١٢١).

(٢) الدرر السنية (٥/ ١٠١)، وانظر: التوضيح والتتمات على كشف الشبهات (ص١٢٦).

للجن والملائكة من أجل الشفاعة. فإن قال قائل: كلامك كله عن الشفاعة، وطلبُ الشفاعة من الأموات نقر أنه كفر بالله، لوقوع الإجماع عليه كما نقله ابن تيمية، فيكون خاصًا بطلب الشفاعة من الأموات فقط أن يشفعوا له عند الله في الآخرة بدخول الجنة والنجاة من النار.

قلنا: لا فرق؛ لأنَّ لفظ الشفاعة اسم عام يشمل طلب التوسط بأيّ خيرٍ لك تطلبه، سواء أكان في الدنيا أم تريده في الآخرة، سواء أكان طلبًا دينيًّا تطلب منه أن يتوسط لك في الهداية أو التوفيق أم أمرًا دنيويًّا من المال أو الرزق ... لا فرق، والشفاعة كما يعرفها العلماء يقولون: طلب الخير للغير. ولم يخصصوه بلفظ معين، ولم يخصصوه بطلب الخير في الآخرة فقط، كما قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥]، بل من أكبر ما يوضح ذلك أن الكفار كانوا يطلبون من آلهتهم التوسط في أمور الدنيا لا الآخرة، لأنَّ الغالب عليهم عدم الإيمان بالآخرة والجنة والنار، فكل طلباتهم أن يتوسطوا لهم عند الله في الرزق في الدنيا والمطر

والسلامة من الأمراض والمصائب الدنيوية. ثم نقول لمن خصص ذلك بلفظ الشفاعة فقط وفي الآخرة فقط نقول له: ما الفرق بين قولك: يا ولي الله، اشفع لي عند الله في الآخرة بدخول الجنة أو النجاة من النار، وبين قولك: يا ولي الله، اشفع لي عند الله أن يغفر لي ذنبي الذي فعلته بالأمس، فما الفرق؟ فلفظ اشفع موجود في الصيغتين، وهو طلب أخروي في الصورتين، وطلب من ميت في الصورتين، لم يختلف إلاّ أن هذا يريده في الدنيا وذاك يريده في الآخرة.

ثم يقال: ما الفرق بين الصورة الأولى الخاصة بالآخرة، وبين ما لو أتى شخص يريد إجراء عملية جراحية فجاء إلى قبر ولي، وقال: يا ولي الله، ادع الله لي أن تنجح العملية التي أريد عملها؟ بل إن الصورة الثانية أعظم كفرًا؛ لأنَّ من طلب من الولي أو الرسول في الآخرة معه شبهة حديث أن الرسول والأولياء يشفعون في الآخرة، أما في هذه الصورة الثانية فأين الشبهة؟

ثم ما الفرق بين الصورة الأولى الخاصة بالآخرة، وقوله: يا ولي الله، ادع الله لي بالهداية والمغفرة؟ لأنَّ طلب الهداية

والمغفرة هي حقيقتها طلب دخول الجنة والنجاة من النار؛ لأنَّ الهداية طريق الدخول للجنة[(١)].

وبهذه الإيرادات والتساؤلات يتضح جليًّا أن صورة طلب الشفاعة من الميت وطلب الدعاء منه هما من باب واحد، والتفريق بين المتماثلين تحكم بلا دليل، وأن من أراد التفريق بين طلب الشفاعة من الميت وبين طلب الدعاء منه لا بدّ أن يتكلف الفرق. وما يورده من فروق سيدعيها خصماؤه ممن يجيز طلب الشفاعة، فما كان جوابًا منه عليهم فهو جوابنا عليه؛ لأن الطلب من الأموات وفتنة التعلق بهم دعوى كبيرة غليظة، ليست كغيرها من الدعاوى، فيحتاج مدعيها إلى ما يثبتها من الأدلة الشرعية، والقوانين المرضية، والسيرة السلفية. وأما المقاييس الفاسدة فلا تفيد هنا؛ ولذا قال الإمام أحمد: «أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس»[(٢)]، «وقال بعض السلف: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس»[(٣)].

---

(١) التوضيح والتتمات على كشف الشبهات (ص٩٤).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١/ ٢٥٧).

(٣) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام (ص٣٩٢).

وإذا ترجح هذا الحكم فلا بدّ من الأخذ بالاعتبار ما يقرره أهل السنة والجماعة في باب التكفير وإطلاق حكم الكفر والشرك على الأعمال والمقالات من التفريق بين الوصف والشخص، وبين حال العموم وحال التعيين، فقد يحكم على المقولة والفعلة أنها شرك أو كفر، أما صاحبها فقد يكون جاهلًا معذورًا أو مخطئًا أو ناسيًا أو متأولًا، فلا بدّ من البيان، وتوفر الشروط، وانتفاء الموانع في حق الشخص، وتحقق ضوابط التكفير فيه، ويتأكد أكثر في المسائل التي فيها نوع خفاء، أو اشتباه، أو تأويل، أو اجتهاد مغاير كمسألتنا هذه ... والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ... وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

خاتمة البحث ونتائجه

هأنذا قد أتممت البحث، ووصلت لآخره وخاتمته، فالحمد لله على فضله وتوفيقه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله أن يختم لنا بالقبول والغفران والفوز بالجنان والنجاة من النيران.

ويمكن أن تستخلص بعض النتائج العلمية من البحث، وهي كالآتي:

١- أسّ التوحيد وعموده هو إخلاص العبادة لله وحده لاشريك له، وذروة العبادة ولبها وأعظم ركن فيها: دعاء الله تعالى، وصرفه أو جزء منه لغيره سبحانه قبيح شرعًا وعقلًا، اتفقت الفطر السليمة والشرائع المنزلة على منع ذلك وقبحه وتحريمه.

٢- أن من أعظم ما يناقض توحيد رب العالمين: دعاء غير الله تعالى.

٣- أن دعاء غير الله أكثر وقوعًا من غيره من أنواع الكفر الأخرى، وأكثر انتشارًا في جميع أصناف الناس وطبقاتهم، وجميع الأزمان والأمكنة، بل إنه أعظم مسألة خالف فيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دين المشركين.

٤- مسألة الطلب من الميت أن يدعو للطالب لم تكن في عهد السلف، وإنما حدثت أوائلها بعد القرون المفضلة، وأنكرها أهل العلم والإيمان، محافظة منهم على السنة، وحماية لجناب التوحيد، وطاعة لله ورسوله، وسدًّا لذرائع الشرك ووسائله.

٥- أن هذه المسألة تختلف عن طلب الدعاء لأمر مشروع أو مباح من الحي الحاضر القادر، كفعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حينما كانوا يطلبون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو لهم، إما في أمر عام أو خاص، وتختلف أيضًا عن دعاء الميت ذاته والطلب منه مباشرة أن: يرزقه، أو يغيثه، أو يفرج كربته، أو يرد غائبه، أو يشفي مريضه، فالأخيرة لم يختلف في كونها شركًا أكبر مخرجًا من الملة علماءُ الأمة وأئمة الدين والسنة، فهي شرك بالله من جهة الألوهية؛ حيث دعا غير الله وتألّه له وسأله من دون الله، واعتقد قدرة المدعو من دون الله على تلك الأفعال، فهو أيضًا شرك بالربوبية؛ حيث اعتقد شريكًا مع الله تعالى في أفعاله.

٦- من صور المسألة: الصورة الأولى: وهي ما إذا سأل الميت أن يدعو الله له بعيدًا عن قبره، فهذه الصورة كثيرًا ما تقع ممن يدعون الأموات، فقد يقع أحدهم في شدة أو كرب؛

فينادي صاحبه الولي، ويستغيث به، ويشتكي إليه هذه الشدة، ويطلب منه الوساطة عند الله تعالى. وأصحابها يزعمون أنهم لم يشركوا حيث لم يدعوا الولي مباشرة قضاء الحوائج بنفسه، بل طلبوا منه سؤال الله فقط، وهذا مثل ما يطلب منه وهو حي أن يدعو لمن طلب منه، فلا فرق عندهم بين الحياة والموت.

والحكم في هذه الصورة أنها شرك بالله تعالى، ومناط ذلك كونه عبادة صرفت لغير الله تعالى، واعتقادهم أن صاحب القبر يعلم الغيب، ويسمع نداء من ناداه في كل زمان ومكان، ويشفع له في كل حين وآن، فهذا شرك صريح، فإن علم الغيب من الصفات المختصة بالله تعالى.

الصورة الثانية: أن يقوم الداعي بسؤال الميت عند قبره، أو باب قبته أن يدعو الله له، فهو يزعم أنه لا يدعوه مباشرة، وإنما يطلب منه أن يدعو ربه لتفريج كربته أوشفاء مرضه أو غير ذلك.

وهذه لم يختلف علماء الإسلام -سوى من شذ من القبورية والصوفية وبعض الطوائف المنحرفة- في تحريمها وإنكارها واعتبارها لوثة قبورية طارئة على المسلمين، سرت

فيهم بسبب: الجهل بالتوحيد، والوقوع في تعظيم الصالحين، والعكوف على قبورهم، لكن وقع الاختلاف في الحكم عليها، فذهب جماعة من أهل العلم إلى كونها بدعة أو وسيلة إلى الشرك، وذهب الأكثرون إلى أنها شرك مخرج من الملة.

٧- زيارة الرجال للقبور من حيث الأصل مشروعة مستحبة، وهي الزيارة الشرعية التي يتحقق بها أمران: ١- تذكر الآخرة، ٢- نفع الميت والإحسان إليه بالدعاء له والسلام عليه. وهذان مقصدان شريفان نصت عليهما الشريعة الإسلامية.

٨- مسألة سماع الأموات من المسائل التي جرى فيه خلاف قديم بين أهل العلم، والأقرب والأسعد بالدليل إثباتها في الحالات المنصوص عليها في الدليل الشرعي فقط.

٩- مخاطبة الميت بضمير المخاطب منه ما هو مشروع كما في حال الزيارة الشرعية للمقابر، ومنها ما هو مخاطبة للميت في قبره، والكلام معه، ونقل الأخبار والأحوال إليه، فهي مخاطبة محدثة، وبدعة مذمومة، ومنها ما هو: شكوى إلى الميت، وطلب منه، واستغاثة به، وهذا شرك بالله تعالى؛ لأنه

دعاء للميت، وتعلق به، وطلب لتفريج كربة، أو رفع شدة، أوكشف غمة، وأشد منه إذا كان ذلك من مسافة بعيدة.

١٠- أن حقيقة الشفاعة من الله هي: رحمته جَلَّ وَعَلَا للمشفوع له، وإظهار كرامة الشافع فقط، وهي من الشافع: طلب الخير للغير. وثبت عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ قالا: «الشفاعة: الدعاء هنا». إذاً فالشفاعة نوع من الدعاء والطلب، وبالتالي فهي دعاء مخصوص بطلب التجاوز عن الجرائم، فالنسبة بينها وبين الدعاء العموم والخصوص المطلق، فكل شفاعة دعاء، وليس كل دعاء شفاعة.

١٢- أن طلب الدعاء من الميت هو نوع استشفاع به، وطلب للشفاعة منه.

١٣- أن العلماء في المسألة على قولين: القول الأول: من يرى أنها بدعة ووسيلة إلى الشرك. والقول الثاني: أنها شرك بالله تعالى، لا تختلف عن طلب الشفاعة من الأموات.

تعدد المنقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسألة، فبعضها فيه التصريح بأنه أمر محرم أو بدعة، وبعضها

مصرحة بأنه شرك بالله، وتبين من الجمع بينها أن كلامه الثاني أوضح وأصرح، وأن الأول لا ينافي الثاني، فكونه يراها بدعة لا يعني أنها ليست شركًا؛ إذ إن صورتها وطريقتها مبتدعة لم تكن موجودة عند المشركين الأوائل، لكن حقيقتها شركية، ولها نظائر في منهجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٤- الجواب عن استدلالات للقائلين بأن طلب الدعاء من الأموات مجرد بدعة عدة أدلة، وقد تم الإجابة عليها بالتفصيل.

١٥- وفي المطلب الأخير من البحث تم إيراد إشكالات علمية على القائلين بأنه مجرد بدعة، تنخرم معها بعض قواعدهم، وتضعف فيها استدلالاتهم.

قائمة المراجع

١- تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الجاهلية للإمام محمد بن عبدالوهاب مع شرح أبي المعالي محمود شكري الألوسي الناشر: دار المجد للنشر والتوزيع - ط الأولى عام ١٤٢٥.

٣- الدرر السنية في الكتب النجدية تأليف: علماء نجد الأعلام جمع الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - الطبعة: السادسة ١٤١٧.

٤- موطأ الإمام مالك تحقيق: بشار عواد معروف - محمود خليل -الناشر: مؤسسة الرسالة -سنة النشر: ١٤١٢.

٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٦- سنن الإمام الترمذي (الجامع الصحيح) الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت-تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٧- سنن البيهقي الكبرى - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤ تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٨- سنن أبي داود السجستاني - الناشر: دار الفكر -تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٩- مسند: الإمام أبي يعلى الموصلي التميمي - تحقيق: حسين سليم أسد-الناشر دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤.

١٠- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١١- صحيح الإمام البخاري (الجامع الصحيح المختصر)- الناشر: دار ابن كثير-بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧.

١٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته للشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني- الناشر: المكتب الإسلامي عام ١٤٢٠هـ.

١٣- فقه السيرة المؤلف: محمد الغزالي - الناشر: دار القلم - دمشق- الطبعة: السابعة - ١٩٩٨ تحقيق: المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
١٤- مشكاة المصابيح- المؤلف: محمد بن عبد الله التبريزي- المحقق: المحدث محمد ناصر الدين الألباني- الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥ .
١٥- مجموع الفتاوى- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية الحراني -المحقق: أنور الباز - عامر الجزار-الناشر: دار الوفاء -الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.
١٦- الرد على المنطقيين- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٧- الفتاوى الكبرى لابن تيمية- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني -الناشر: دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٨- قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق المؤلف: تقي الدين

أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني –المحقق: سليمان بن صالح الغصن– الناشر: دار العاصمة – الرياض– الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٩- تلخيص كتاب الاستغاثة- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة- الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني- تحقيق: د. ناصر عبدالكريم العقل- الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

٢١- الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية–المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني–دار النشر: المطبعة السلفية – القاهرة- تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

٢٢- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف تأليف: علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي – الناشر: دار إحياء التراث- الطبعة الثانية.

٢٣- الفروع ومعه تصحيح الفروع تأليف:: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الصالحي الحنبلي -تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد المؤلف: محمد بن الأمير الصنعاني-مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

٢٥- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان- تأليف: محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي الناشر: المطبعة السلفية – ومكتبتها- الطبعة: الثالثة.

٢٦- رسالة التوحيد – المؤلف: الشيخ محمد عبده- الناشر: مطابع دار الكتاب العربي.

٢٧- دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- المؤلف: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف-الناشر: دار الوطن، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٨- بدائع الفوائد تأليف الامام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية- الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد- المؤلف: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب -المحقق:

محمد حامد الفقي- الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة- الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٣٠- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد- المؤلف: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٣١- الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات- المؤلف: نعمان بن محمود الألوسي – تحقيق: المحدث محمد ناصر الدين الألباني-الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة: الرابعة.

٣٢- تهذيب اللغة- المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور- المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى.

٣٣- لسان العرب- المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- الناشر: دار صادر – بيروت- الطبعة الأولى.

٣٤- معجم مقاييس اللغة- المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- المحقق: عبد السلام محمد هارون- الناشر: دار الفكر- الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٥- شرح فتح المجيد- المؤلف: عبد الله بن محمد الغنيمان- مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: *http: //www. islamweb. net*.

٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثـر- المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري- الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

٣٧- كشاف القناع عن متن الإقناع- المؤلف: منصور بن يونس البهوتى الحنبلى - الناشر: دار الكتب العلمية.

٣٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير- المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر الـرازي الملقب بفخر الدين الرازي -الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٣٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠- فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الثانية- المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء- جمع وترتيب: أحمد

بن عبد الرزاق الدويش- الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.

٤١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي- الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤٢- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان- المؤلف: محمد بن أبي بكربن القيم الجوزية- الناشر: دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ -تحقيق: محمد حامد الفقي.

٤٣- كتاب التوضيح والتتمات على كشف الشبهات

٤٤- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية - لبعض علماء نجد الأعلام-الناشر: دار العاصمة، الرياض- الطبعة: الأولى١٣٤٩هـ/ النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.

٤٥- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية- المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين الأفغاني -الناشر: دار الصميعي-الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤٦- شرح كشف الشبهات لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز-الناشر: مؤسسة الشيخ عبد العزيزبن باز الخيرية- الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ.

٤٧- زيـارة القبور تأليف الامـام محيي الدين البركوي (ت: ٩٨١) ضمن المكتبة الشاملة

٤٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي -المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٩- شرح كشف الشبهات لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ نشر دار الحجاز ط. الأولى عام ١٤٣٣.

٥٠- القول المفيد على كتاب التوحيد- المؤلف: الشيخ - محمد بن صالح بن محمد العثيمين - الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٥١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين- تأليف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- الناشر دار الكتب العلمية-بيروت -سنة النشر ١٤١٢ - ١٩٩٢.

٥٢- المفردات في غريب القرآن- المؤلف: أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى -المحقق: صفوان عدنان الداودي- الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

٥٣- مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسـلام- المؤلف: الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبدالوهاب-المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد- الناشر: وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والأرشاد- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣م.

٥٤- كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس- تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ- نشر دار العاصمة بالرياض - الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.

٥٥- تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس تأليف الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين - الناشر مؤسسة الرسالة ط الاولى عام١٤٢٢هـ.

٥٦- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للعلامة محمد بن علي الشوكاني - دار ابن خزيمة الطبعة الاولى عام ١٤١٤هـ.

٥٧- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور- تأليف الحافظ ابن رجب الحنبلي- الناشر دار الكتاب العربي- الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ

٥٨- المنهاج في شعب الإيمان تأليف: الحسين بن الحسن الحليمي أبو عبد الله - تحقيق: حلمي محمد فودة- الناشر: دار الفكر- سنة النشر: ١٣٩٩هـ.

٥٩- تصحيح الدعاء تأليف الشيخ د. بكر عبدالله أبوزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ - الناشر دار العاصمة الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

٦٠- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية- تأليف جيلان بن خضر الروسي - الناشر مكتبة الرشد - الطبعة الاولى عام١٤١٧هـ.

٦١- القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس - المؤلف: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ- الناشر: دار الهداية - الرياض- سنة النشر: ١٤٠٥هـ.

٦٢- شرح العقيدة الطحاوية (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل) تأليف معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - دار المودة، المنصورة / مصر، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

٦٣- السيف المسلول على عابد الرسول. تأليف الشيخ: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي. الناشر مكتبة المدينة.

٦٤- حكم سؤال المقبور الشفاعة لسالم سعيد المقبالي

http: //www. al-aqidah. com/?aid=show&uid=bim02oug.

٦٥- شرح أصول السنة لابن أبي زمنين للشيخ عبد العزيز الراجحي ـ موقع الشيخ على الشبكة:

http: //shrajhi. com/Live/Cat /24

٦٦- ملتقى أهل الحديث: *http: //www . ahlalhdeeth. com/ vb/showthread. php?t=20518*

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله